

جرمية الضرر..؟؟!!

قصة احتلال المسجد الحرام

رواية شاهد عيان

دكتور

عبد العظيم البرهني محمد الرطبي

مكتبة وهيب

١٤ شارع الجمهورية - عابدين

القاهرة ت : ٣٩١٧٤٧٠

الطبعة الثانية

الطبعة الأولى لمكتبة وهبة

١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٣ م

حقوق الطبع محفوظة

تحذير

جميع الحقوق محفوظة لمكتبة وهبة (للطباعة والنشر). غير مسموح بإعادة نشر أو إنتاج هذا الكتاب أو أى جزء منه، أو تخزينه على أجهزة استرجاع أو استرداد إلكترونية، أو ميكانيكية، أو نقله بأية وسيلة أخرى، أو تصويره، أو تسجيله على أى نحو، بدون أخذ موافقة كتابية مسبقة من الناشر أو المؤلف.

All rights reserved to Wahbah Publisher. No Part of this Publication may be reproduced, stored in a retrieval system, or transmitted, in any form or by any means, electronic, mechanical, photocopying, recording or otherwise, without the prior written permission of the publisher.

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

إهداء

أهدى هذا الكتاب

إلى حراس الحق وجنوده
إلى الأرواح الطاهرة الخضراء
إلى وعى التاريخ الخالد الأمين
إلى مشاعر المؤمنين فى كل مكان

المؤلف

البلد الطيب الأمين. مكة المكرمة فى ربيع الأول سنة ١٤٠٠هـ

يناير سنة ١٩٨٠م

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

مقدمة

كان من المقرر أن أصل إلى مكة المكرمة قبل نهاية شهر شوال من العام الهجرى ١٣٩٩هـ. أى قبل موسم الحج بزمان ليس بالقصير .. ولكن تجمعت عوامل تبدو ضعيفة حالت دون السفر إلى ذلك البلد العظيم. ولا جرم فإن العوامل الضعيفة إذا "تجمعت" كان لها من قوة الأثر ما ليس للعامل الواحد القوى. وكان وراء هذا كله قدر حكيم يرى ما لا نراه نحن البشر مهما أصابنا من غرور الفهم وبعد النظر. فإن "ما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن" والذى شاءه الله أن أصل إلى مطار جدة فى الساعة الثالثة وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت "السعودية"، أو الثانية وخمس وعشرين دقيقة بتوقيت القاهرة بعد ظهر يوم الثلاثاء الثالث والعشرين من شهر ذى الحجة ١٣٩٩ هـ، الموافق الثالث عشر من نوفمبر سنة ١٩٧٩ م. وقد أبصرت ونحن نقف فى "طابور" إنهاء إجراءات الوصول بمطار جدة. أبصرت أخا يقف بجوارى وهو يرتدى "ملابس الإحرام"، فأدركت أنه يقصد مكة المكرمة كما أقصدها. وقلت فى نفسى إنه نعم الرفيق. وصارحته بمشاعرى فرحب بالرفقة ترحيبا كريما وركبنا فى "سيارة" واحدة فى طريقنا إلى البلد الأمين "مكة المكرمة" التى تهوى إليها أفئدة الملايين من المسلمين فى كل موسم حج أو عمرة.

بدأنا السير فى الساعة الرابعة والنصف، وكنا حتى هذه اللحظة لم
يتعرف كل منا على الآخر. من هو وما المقصود من القدوم ..؟

وحين تم ذلك التعرف بدا لنا معا أن كلا منا كان يبحث عن الآخر
ويريد التعرف " الوثيق " عليه.؟

ومن حكمة القدر الحكيم أن مهمته كانت مهمة علمية. فهو أستاذ
زائر لكلية الشريعة بجامعة الملك عبد العزيز بمكة المكرمة بقسم الدعوة
فيها.

وكانت مهمتى أننى " معار " لنفس الكلية بنفس الجامعة لقسم اللغة
العربية بها ..؟ وكلانا مصريان أزهرىان ..

هذا التدبير الحكيم ذكرنى بقول الشاعر:

قد يجمع الله الشتيين بعدما يظنان كل الظن أن لا تلاقيا

وقبل الوصول إلى البلد الأمين سألتنى رفيقى الأستاذ الدكتور/ حسن
الشافعى "دار العلوم": أتقصد مكانا معيناً بمكة تنزل فيه؟

قلت: لا مكان معيناً عندى.

قال: إننى أعرف بعض "الإخوة" من مصر يعمل مديراً لفندق. فإذا
أحببت نزلنا فيه معاً. واستطرد: أن اتصالاً تليفونياً تم من القاهرة بالمدير
المذكور لهذا الغرض.

رحبت بالفكرة وكنا فى الساعة الخامسة والنصف تقريباً قد وصلنا
إلى جوار المسجد الحرام بمأذنه " العملاقة " وأضوائه "الساطعة " وبنائه
الشامخ الحصين.

استقبلنا مدير الفندق بروح طيبة ولم ننه معه الحديث وإذا بأذن المغرب يدوى من مآذن المسجد الحرام السبع أنه صوت جليل مهيب يملأ ربوع الكون جلالات وهيبه فلبينا النداء. ذلك النداء الخالد وولينا وجوهنا شطر " المسجد الحرام " وشققنا طريقنا إليه بشق الأنفس، فالمسلمون الذين يصلون "خارج الحرم" فى رحبته المتصلة به. وما أوسعها وأطولها لايحصون عدداً. فما بالك بمن يصلون بداخله. الله وحده يشهد أن " الواحد " منا كاد يسجد على ظهر أخيه. فياله من مشهد رائع وعظيم. ويا لها من دعوة، تلك الدعوة التى دعاها الله إبراهيم.

﴿ رَبَّنَا إِنِّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيَّتِي بِوَادٍ غَيْرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُوا الصَّلَاةَ فَاجْعَلْ أَفْنَدَةً مِنَ النَّاسِ تَهْوِي إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُمْ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ ﴾. (إبراهيم: ٣٧)

إبراهيم - عليه السلام - له فى هذا النداء: عمل، وإرادة، ومطلب:
فالعمل: هو إسكانه من ذريته، أى بعض ذريته - بوادٍ قفر لا ماء فيه ولا زرع عند بيت الله الحرام.

والإرادة: ليقيم ذلك " البعض من ذريته " الصلاة لله.
والمطلب: أن يجمع الله قلوب الناس حول ذريته، وأن يرزق الجميع من الثمرات.

دعا كريماً معطاء فاستجاب له بأسمى ما يكون العطاء. عطاء متجدداً تجدد الحياة نفسها حتى يرث الله الأرض ومن عليها.

قضينا الليلة معاً بالفندق فى غرفة واحدة .. ثم ذهبنا معاً إلى الجامعة صباح اليوم التالى، وقدم كل منا لعميد الكلية .. " أوراق اعتماده " وذهب

صديقى إلى قسم الدعوة، وذهبت إلى قسم اللغة العربية وافترقنا فى طريق العودة. فوصلت إلى الفندق قبله .. وفى الساعة الثانية بعد الظهر من نفس اليوم. (الأربعاء ٢٣ ذى الحجة) وصل صديقى إلى الغرفة، واستأذنى فى استحياء بالانصراف من الفندق لأن الجامعة أعدت له "منزلاً بدار الضيافة التى يقيم بها الأساتذة الزائرون لمدد قصيرة.

ويشهد الله أنها كانت من أقدس المواقف التى أحزنت مشاعرى لألم الفراق، ولكنى سترت ذلك كله مودعاً له وداع أخ لأخ وراجياً لى وله كمال التوفيق فيما جئنا من أجله.

بقيت فى الغرفة وحيداً .. ولم يكن معى بالفندق كله سوى أسرتين من بقايا ضيوف الرحمن "الحجاج" الذين كانوا يقيمون بالفندق أسرة مغربية من أخوين وأم وابن خالة، وأسرة باكستانية من أخوين وأخت وأم. ثم مدير الفندق ومساعدته .. الأسرة المغربية تقيم فى الدور الثانى من الفندق، والأسرة الباكستانية تقيم فى دور أرضى جانبى ملحق بالفندق. وأما الغرفة التى كنت أقيم بها فهى بالدور الخامس. ولها نافذتان تطلان على الحرم الشريف من ناحية باب الوداع. بل إن النظر من إحدى نافذتيها يريك الحرم كله، إذ لا يفصل بين الفندق وبين الحرم إلا شارع لا تزيد مساحته عرضاً على مائة متر تقريباً أو لعلها أقل.

جوار مممتع

وجدت فى هذا الجوار الكريم لبیت الله الحرم متعة روحية ليست لها حدود. فكانت عزاء جميلاً لى وأنستنى مشاق الغربة والوحدة وحرصت

على أداء الصلوات الخمس فيه فجرًا، وظهرًا، وعصرًا، ومغربًا، وعشاء.
واستمر هذا السلوك ستة أيام كاملة من الأربعاء ٢٣ ذى الحجة إلى الاثنين
٢٩ من نفس الشهر. وهو آخر يوم في العام الهجرى ١٣٩٩ هـ. إلا
خمس أوقات أدركتني وأنا في مناطق بعيدة عن الحرم، وهى محصورة فى
العصر والمغرب.

الرؤيا .. حقيقة

وقبل وقوع الاعتداء بيومين، - رأيت - والله وحده على ما أقول
شهود - رأيت رؤيا منامية لها دلالة عجيبة. ورموز ناطقة خلاصتها:
(أننى كنت أتأهب للسفر ومعى صحبة لا أعرف منهم أحدًا وإذا بنا نرى
طائرة خضراء فوق الحرم الشريف تسير فى الجو مضطربة لدرجة أنها
انقلبت وهى فى الفضاء وإذا بى أسمع من يقول: دعنا من السفر لنرجع
إلى أهلنا سالمين، ولم يكد القائل يفرغ من مقالته تلك إلا والطائرة
الخضراء تعتل وتسير سيرا آمنا، وكان شيئًا لم يحدث لها قط. ووجدتني
بعدها أنظر إلى "مسجد" ليس به سقف، وكنت قد تركت مشكلة مسجد فى
القاهرة تعرض لاعتداءات مريبة من بعض الطامعين وكانت تلك المشكلة
تسيطر على كل تفكيرى وأنا بمكة المكرمة فخيّل إلىّ فى الرؤيا أن المسجد
المزال سقفه هو الذى أفكر فيه، وشقّ على نفسى أن يعطل هذا المسجد فلا
تقام فيه صلاة الجمعة بالذات، وأبصرت فيه بعض العاملين فقلت لهم:
أحضروا قماشًا وأسقفوا به - المسجد بسرعة لأننا سنؤدى صلاة الجمعة

فيه. ورد على أحد العاملين قائلاً: ليس هذا فى مقدرتنا ولكنه فى مقدرة أولئك الرجال هم سيقومون به. فنظرت إلى الرجال الذين أشار إليهم محدثى فوجدتهم مجهزين للعمل المطلوب فوقع فى نفسى سرور عظيم ثم انتبهت من النوم لتوى .. ولم أدر قط سر الرموز فى هذه الرؤيا العابرة. ولكن سير الأحداث بعدها كان أصدق ترجمة وإيضاحاً لرؤيا وقعت لجار من جيران بيت الله الأمين.

وقصة لها دلالة

وفى ليلة الثلاثاء غرة شهر المحرم للعام الهجرى ١٤٠٠ حدث ما لم أفهمه حال حدوثه. ولم أفهمه بعد حدوثه حتى بعد وقوع الاعتداء على الحرم الشريف، ولكن حدوث ما حدث كان يقظة ولم يكن مناماً. وهانذا أجزه كما رأيته.

فى المسجد الحرام يؤذن لصلاة الصبح مرتين بين المرة الأولى والثانية ستون دقيقة تقريباً.

الأذان الأول قبل الفجر لإيقاظ الناس واستعدادهم للصلاة والثانى للإعلام بدخول الوقت، وهذا سلوك إسلامى مطلوب فى صلاة الفجر، لأنها الصلاة الوحيدة التى يستيقظ لها الناس من النوم.

فى هذه الليلة أيقظنى من النوم صوت امرأة تتحدث حديثاً متتابعاً مسروداً سرداً، ولكنه بلبغة لأفهمها. وكان صوت المرأة مسموعاً لى بوضوح شأنه شأن أى صوت يقع فى سكون الليل، واستمر حديثها بلا انقطاع حتى بعد الأذان الأول وإلى قبيل الأذان الثانى ولعله استمر حتى

الأذان الثانى. أصغيت قبل نزولى إلى المسجد الحرام إلى ذلك الصوت المتتابع الذى لم يتخلله انقطاع كأنه صوت حاكى جيد الصنع، وكنت فى شوق إلى رؤية مصدره .. لأنى أدركت أن المتحدث ليس هناك سامع يسمعه وإلا لتغير النهج المسترسل الذى جرى عليه الحديث ولم يسعنى إلا أن نهضت من فراشى ثم توضأت ووليت وجهى شطر المسجد الحرام. وكان هذا قبل الأذان الثانى بنصف ساعة يقيناً وبعد خروجى من باب " الفندق " مباشرة وجدت المرأة التى تتحدث تجلس على الرصيف الفاصل للشارع الذى يقع بين الفندق والحرم تجاه باب الوداع.

وكانت تصوب نظرها إلى المئذنتين اللتين بجوار باب الملك عبد العزيز. إن هيئة جلسة المرأة، وهى إحدى الحاجات إلى بيت الله الحرام. كانت مواربة تجاه تينك المئذنتين، لأن الجالس تجاه باب الوداع لكى يرى المئذنتين المشار إليهما لابد من تعديل فى جلسته وإلا لم يرهما. ولهذا وارتبت المرأة جلستها كما تقدم وصدق ما ظننته قبل أن أراها. فلم يكن أمامها سامع تتحدث إليه.

فهى تجلس وحيدة على الهيئة التى أشرت إليها قريباً. وكان يقف على شمالها أحد الحجاج منحرفاً فى وقوفه إلى الوراء، المرأة لم تره لأنه بعيد عن دائرة إبصارها، وهو صامت لا يتكلم .. ومن يدرى .. لعله أدهشه من أمرها ما أدهشنى .. ولست أدرى إن كان يفهم لغة حديثها أم لم يسمع منها إلا جرس الصوت وهو عن المعانى بمنأى. فما سر ذاك الحديث يا ترى العلم لله وحده .. على أننى سأعود لربط هذه الواقعة بما يناسبها من الأحداث الآتية .. ولكن على سبيل الظن لا اليقين.

دخلت المسجد الحرام، وطففت حول الكعبة مع الطائفين سبع طوفات. وفرغت من الطواف مع الأذان الثانى، وكان المسجد الحرام قد اكتظ بقاصديه. حتى لم يكن فيه موضع إلا وفيه رাকع أو ساجد، أو جالس فى انتظار الصلاة. ولهذا فقد أديت ركعتى الفجر وركعتى الطواف بجوار الكعبة لم يكن بينى وبينها إلا ثلاثة صفوف من الجالسين فى انتظار الصلاة. وحين أقيمت صلاة الصبح نهض الناس قياماً، فأبصرت رجلين من الصف الذى أمامنا مباشرة يلتفتان معاً إلى الخلف، وينظران إلى الدور الثانى الذى يلى صحن الحرم الشريف مباشرة واستجابة لحب "الاستطلاع" التفت ونظرت إلى نفس المكان الذى ينظران إليه. فلم أر شيئاً يسترعى الانتباه .. فعلم إن كان يلتفت هذان الرجلان .. خاطرة مرت سريعة ما كنت أظن، ولا أحد غيرى كان يظن أن هذه الالتفاتة نذير بخطر جسيم وسيقع بعد حين .. ؟

انتظم الجميع فى صلاة جامعة، وكان المسجد الحرام بصحنه الفسيح، وأدواره الواسعة، ومقصوراته وساحاته وملحقاته من الخارج، كل هذه الأماكن مزدحمة بالمصلين من الرجال والنساء بملابسهن الإسلامية البيضاء. فكلهن لا ترى منهن إلا الوجه والكفين. وكن يصلين فى المقصورات الخلفية بعيداً عن صفوف الرجال. مشهد رائع وجميل يملأ النفس ثقة بأن الإسلام بخير. وأن لله عبادة قد اصطفاها لطاعته. وأن الله لن يخيب أمة هذا شأن بعض رجالها ونسائها المؤمنين والمؤمنات. وكان عددهم لا يقل عن نصف المليون قام الإمام فقاموا. وكبر فكبروا. وقرأ فأنصتوا. وليعذرني القارئ الكريم إذا قلت أن كل شيء وقع فى ذلك الصباح كان موحياً، دليل ذلك أن الإمام قرأ فى الركعتين بعد "أم الكتاب"

الآيات الأواخر من سورة التوبة. والذي أعياه الآن ما قرأه فى الركعة الثانية وهو قوله تعالى:

﴿ وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنفِرُوا كَافَّةً فَلَوْلَا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُمْ مِنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ فَمِنْهُمْ مَّن يَقُولُ زَادَ اللَّهُ هَذِهِ إِيمَانًا فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا فزَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَهُمْ يَسْتَبْشِرُونَ وَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ فَزَادَتْهُمْ رِجْسًا إِلَى رِجْسِهِمْ وَمَاتُوا وَهُمْ كَافِرُونَ أَوَلَا يَرَوْنَ أَنَّهُمْ يُفْتَنُونَ فِي كُلِّ عَامٍ مَّرَّةً أَوْ مَرَّتَيْنِ ثُمَّ لَا يَتُوبُونَ وَلَا هُمْ يَذْكُرُونَ وَإِذَا مَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاهُمْ مِنْ أَحَدٍ ثُمَّ انصَرَفُوا صَرَفَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَا يَفْقَهُونَ لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ۝ (التوبة: ١٢٢ : ١٢٩)

تأمل أختي المسلم تلك العبارات من الأمر بقتال الكفار الذين يلون المؤمنين المأمورين بقتالهم، والمعتدون فى تلك اللحظة كانوا يلون المؤمنين بل مختلطين بهم. ثم تأمل قوله تعالى: ﴿ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً ﴾ والإشارة إلى زيادة الرجز وأنهم يموتون كافرين، ثم الإشارة إلى وقوع الفتنة فى العام مرة أو مرتين، وأن المفتونين لا يتوبون ولا يذكرون ... ؟!

وقف ملياً أمام قوله تعالى: ﴿ نَّظَرَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ هَلْ يَرَاهُمْ مِّنْ أَحَدٍ ﴾ ؟ أن هذه الحال لمنطبقة تماماً على أولئك " البغاة " الذين تسللوا إلى بيت الله الحرام ولا يختلف أحد فى أنهم كانوا ينظرون بعضهم إلى بعض خشية أن يراهم أحد، أو يكشف خطتهم، فاللص دائماً حذر ووجل... ؟

وانظر إلى قوله تعالى: ﴿عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ﴾ وأقبح العنت هو الذى وقع من أولئك " البغاة " ثم تأمل جيداً تلك الآيات المقروءة فى الركعة الأخيرة من صباح الاعتداء الفظيع ورفع الأمر لله فى قوله تعالى: ﴿لَبِئْسَ تَوَكُّلاً عَلَى اللَّهِ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾...؟

لقد كان امام الصلاة فى ذلك اليوم نائباً عن الأمة بأسرها فى رفع الأمر مما " سيحدث " لله رب العرش العظيم كان نائباً، وهو لا يدري، ولكن حكمة القدر أنطقته بتلك الآيات الحكيمات. ونصف مليون من عباد الله المؤمنين يسمعون ويؤمنون. والله - وحده - من فوقهم يعلم ما سيكون.

الفتنة تطل برأسها

سلم الإمام وخرج من الصلاة، وسلم المسلمون وخرجوا من الصلاة. كل جالس فى مكانه يستغفر الله ويتوب إليه، ويستعد لختم الصلاة بالتسبيح والتحميد والتكبير، وأشهد - والله شهيداً على ما أقول - أن أحداً من المصلين لم يتم ما هم به من الخروج من الصلاة حتى سمع الجميع صوت جسيم ثقيل يرتطم بالأرض، وبالنسبة للمكان الذى كنت أجلس فيه فقد سمعت الصوت من خلفى وهو نفس المكان الذى قلت قبلاً أن بعض الواقفين فى الصف الذى أمامى كانوا ينظرون إليه قبل إقامة الصلاة. وبالتأكيد فقد أدركت أن ذلك الصوت قد انزاح مصدره عن مكانه الذى هو فيه بفعل فاعل فهوى على الأرض. ولكن حتى هذه اللحظة لم يكن فى حساب أحد منا أن حادثاً خطيراً سيقع بعد قليل، وأن ذلك الصوت إنما هو بدايته وهذا المكان هو الذى يقف فيه إمام الصلاة وخطيب الجمعة وبه

مكبرات الصوت. لم أكرث لما حدث، كما لم يكرث غيري، واستمررت في ختم الصلاة. وعلى ما أذكر كنت قد فرغت من التسبيح. وبدأت في التحميد. وفوجئت بطلق نارى يدوى خلفى فوقف الناس، ووقفت، ونظرت إلى المكان الذى دوى فيه الطلق النارى الرهيب: أثار تطلق فى بيت الله الحرام الأمن؟ علامات استفهام لحوجة أخذت تدور فى ذهنى، وبينما أنا واقف أنظر إلى نفس المكان، وكل المصلين واقفون ينظرون مثلى. إذا بى أرى رجلاً فى ربيع العمر يتزى بالزى العربى الخالص (جلباب أبيض، وغترة على الرأس، وعقال أسود فى أعلى الرأس) وقد علق على كتفه الأيمن بندقية، رأيته يروح ويجيء أماماً وخلفاً، فى حركات هستيرية، ويهتز كما يهتز العصفور الذى بلله المطر كما يقول الشاعر الوله، ثم يشير بيده اليمنى طالباً من الناس أن يجلسوا - هكذا فهمت من إشارته - ثم بدأ يقول: الله أكبر. وأخذ بعض المصلين يكبرون معه، هو يبدأ وهم يجيبون، كان المكبرون قلة فى البداية. ثم ازدادوا بعد قليل وليس عندى شك فى أن الذين أسرعوا بترديد التكبير وراءه إنما هم من العصابة التى ما دخلت بيت الله للعبادة، كما دخل المصلون الغافلون. أما الذين انساقوا فى ترديد التكبير فإن معظمهم من الحجاج المسلمين غير العرب (باكستانيون وهنود - إيرانيون - أتراك) ومع التكبير أخذت طلقات الرصاص تتزايد. وأخذ الناس يتساعلون عن السبب فى كل ما يحدث. وكانوا لا يعدمون جواباً على تساؤلاتهم. وقد انحصر الجواب كما رأيت فى أن السبب إنما هو الاحتفال بالعام الهجرى الجديد ؟..) لا تتس أخى القارئ أن الاعتداء قد وقع فى فجر أول المحرم ١٤٠٠ هـ (٢٠٠٢

سمعت هذا الجواب مرات رداً على تساؤلات الناس. أما أنا فلم أسأل أحداً. وكذلك فإن هذا الجواب لم يقنعنى قط. وظل الأمر فى نفسى لغزاً مبهماً. وألهمنى الله أن أبدأ بالخروج من المسجد الحرام. فحملت خفى وأخذت أشق طريقى من الكعبة الشريفة حيث كنت أصلى ملاصقاً لها، إلى باب الوداع الذى تعودت الدخول والخروج منه لقربه من الفندق الذى أقيم فيه. كانت الساعة فى حدود الخامسة والنصف من فجر المحرم ١٤٠٠ هـ، وهو أول أيام العام الهجرى المكمل للقرن الرابع عشر.

الأبواب مغلقة

وحين اقتربت من الباب (باب الوداع) وجدته مغلقاً. ووجدت الناس الذين هموا بالخروج قبلى يعودون. فالتفت ناحية بقية الأبواب التى أمكن رؤيتها من المكان الذى أنا فيه فوجدتها مغلقة كذلك. ومن هم بالخروج يعود. فى هذه اللحظة كنت قد جاوزت صحن الحرم الشريف ودخلت فى المقصورات المسقوفة التى تعلو أرضيتها على أرضية الصحن الشريف. وكان معظم المصلين فى هذه المقصورات من النساء إذ يحتلن مسافات واسعة، فيها وخاصة فى المناطق الممتدة بين أبواب الوداع وأم هانئ والهجرة وأبى بكر. وما كنت أخطو فيها الخطوات الأولى حتى انهال الرصاص فوق رؤوسنا من جوانب متعددة. ولعل المقصود من إطلاق الرصاص هو إرهابنا ومنعنا من الخروج. وقد تأكد لى هذا المعنى فيما بعد.

والرصاص فوق الرؤوس

فماذا يصنع الناس ...؟ وماذا أصنع. الأبواب مغلقة تماماً والرصاص يتهاوى فى رؤوسنا. مازق حرج لا مخرج منه إلا بتدبير الحكيم. وإزاء هذه الظروف الصعبة امتثل بعض من أرادوا الخروج فعادوا إلى الداخل. أما كاتب هذه المذكرات فقد أحس فى نفسه قوة على إرادة الخروج لم أذكر أننى اتخذت فى موقف من المواقف قراراً حاسماً مثلما اتخذته فى هذه اللحظة. وكانت الأحداث تتصاعد بشكل رهيب. وأين فى بيت الله الحرام الأمين ..

لم يمنعنى إغلاق الأبواب، ولا تطاير الرصاص فوقنا من السير نحو باب الوداع الذى دخلت منه. ووجدتني أخطو فى ثقة وأنا أردد قوله تعالى: ﴿ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا ... ﴾ (التوبة: ٥١) أخذت أردد هذه الآية الحكيمة الشجاعة. وليصدقني القارئ أننى لم يكن لى تدبير فى اختيارها ولا ترددها. فقد كانت النفس فى ذهول مما يجرى داخل بيت الله الأمن فى البلد الأمين ..

وتسألنى بعض " الحاجات " عن سبب ما يحدث فأرانى أقول لها: يقولون بأنه احتفال بالعام الهجرى الجديد، ثم أخطو نحو الباب فلما وصلت إذا بى أجد رجلين كل منهما يحمل خفيه بيده، ويمسكهما بكلتا يديه ويضعهما على ظهره. يريدان أن يخرجنا .. ولكن كيف والباب أمامهما مغلق وعليه حراس غلاظ شداد !؟..

خروج .. ودخول

وقفت بجوارهما لعل الله يحدث أمراً. ولم يطل وقوفنا فقد فتح الباب لإدخال بعض الأفراد يحتمل أن يكونوا من أفراد (البغاة) المعتدين، ويحتمل أن يكونوا من المصلين الذين أدوا الصلاة برحبات المسجد الخارجية لشدة ازدحام المسجد بقاصديه، وإذا صح هذا الاحتمال الثانى فإن الدافع لهم على الدخول هو حب الاستطلاع حول ما يدور داخل المسجد. أو لأن لهؤلاء الداخلين أقدارا لابد أن تتفد فى حلبة الصراع الملتهب الذى أشعلت أولى فتائله حتى هذه اللحظة، ولما ينكشف على حقيقته إلا بعد دقائق من دخولهم..؟!!

ولا يعلم أحد إلا الله وحده ما حدث لهؤلاء الذين كانوا طلقاء فآلقوا بأيديهم إلى غمار الفتنة، التى أخذ فيها البرىء بإثم المجرم .. فقد يكون منهم من أصيب. وقد يكون منهم من تعرض لرصاص "البغاة" فسال يمينه وقضى من الحياة نحيبه .. لقد ساروا إلى غمار الفتنة بأقدامهم سعياً حراً. وكان لسان حالهم يردد قول الشاعر:

إلى حتفى سعى قدّمى أرى قدّمى أراق دمي ..؟!!

مساكين هؤلاء. فقد ظلمهم بغاة المعتدين .. ولكن الله لن يظلمهم. فقتل نفس واحدة ظلماً، إنما هو فى شريعة الله بمثابة قتل الناس جميعاً .. فما بالك بقتل النفس فى أقدس مكان ..؟

ولندع هؤلاء الداخلين. فعلمهم عند ربى فى كتاب لا يضل ربى ولا ينسى. فبعد أن فرغوا من دخولهم، وكان الباب مفتوحاً بحذر شديد بحيث لا يسمح إلا لمرور شخص واحد، داخلاً أو خارجاً تسالل أحد الرجلين الواقفين من الداخل وخرج، وأسرع الثانى بالخروج مثله فخرج. وجاء دورى فهممت من شق الباب بالخروج وكنت أتوقع أننى سأمنع، وإذا أصررت فربما دفعت دفعاً عنيفاً إلى الداخل. وإذا أفلحت فى الخروج فقد تتبعتنى رصاصة قاتلة لن تخطئ. ومع هذا فقد بدأت أخطو أولى الخطوات إلى الخارج. ولم يعترضنى أحد. وخطوت الثانية، والثالثة والرابعة حتى اختلطت بجموع هائلة من الذين أدوا صلاة الفجر برحبات المسجد الخارجية. وفوجئت بطلقات الرصاص تستأنف دويها فوقنا فعدت إلى الآية الحكيمة أرددها. ﴿قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا﴾ (التوبة: ٥١) ويستقبلنى المصلون بالخارج يسألوننى عن سر ما يحدث بالداخل. ولعلمهم أبصرونى وأنا خارج من المسجد. وكان أكثر السائلين من النساء الحاجات .. وكان جوابى هو ما ذكرته آنفاً " يقولون إنه احتفال بالعام الهجرى الجديد .. " ؟!

مراقبة عن كذب

لقد كانت الجموع المحتشدة خارج الحرم تفوق الحصر. فالناس لم يسمعوا قط صوت الرصاص ينطلق بل يدوى من الحرم الشريف إلا فى هذه اللحظة. وآثرت أن أجلس على إحدى المقاهى المجاورة لأننى شعرت

أنى فى حاجة إلى كوب شاي ساخن، وهو مالا سبيل إليه - الآن - بالفندق، ولأن أحببت أن أرقب عن كثب ما سوف يكون عليه الأمر .. وبعد دقائق انضم إلى رجل مصرى قدم من المدينة قبيل فجر الأول من المحرم. وكان قد أدى صلاة الفجر بالمسجد الحرام وخرج قبل اندلاع الفتنة المنكرة. جلس بجوارى، وكان " البغاة " قد بدأوا يخطبون فى الناس بالداخل. وبواسطة مكبرات الصوت وتساءل معى عما يحدث، ولم يقتنع متلى بأن الذى يحدث هو احتفال بالعام الهجرى الجديد، ولايبعد - عزيزى القارئ - أن هذه الشائعة قد روجها البغاة المعتدون أنفسهم ليطمئن إليهم الناس ريثما يتحكمون هم فى الموقف، ويفرضون سيطرتهم على منطقة الحرم من الداخل، وعلى المناطق المحيطة به حسبما ترحم عنه الواقع المسعور والخطط الموضوعة لأولئك البغاة المعتدين. فيما بعد ..؟

لم يكن بالمقهى أحد غيرنا، حتى العاملون فيها، وهم فتيان يمنيون قد هرعوا إلى هناك بعد أن قدموا لنا ما طلبناه .. استمعنا إلى بدايات خطبهم وكانت طلقات النار تتبعث إلى أسماعنا بين الحين والحين، مع أصوات الخطباء. وقد انتقدنا معاً طريقة القوم فى احتفالهم بالهجرة، على ما قيل - وقلنا ماأبعد الاحتفال بالهجرة عن هذه الطريقة. وكان يضعف عندى هذا الاحتمال الظروف التى أحاطت بما حدث. وتساءلت مع رفيقى. إذا كان ما يحدث احتفالاً بالهجرة فلماذا لم يعلن عنه مقدماً .. أو حتى فى بداية الخطبة. وإذا تجاوزنا عن كل ذلك فما علاقة إطلاق الرصاص، وإغلاق الأبواب بالاحتفال. وإرهاب من يحاول الخروج من المسجد بإطلاق الرصاص. ماعلقة كل ذلك بالاحتفال بالعام الهجرى الجديد.؟

لهذه الأسباب استبعدنا أن يكون الذى يجرى الآن داخل المسجد الحرم احتفالاً رسمياً بالهجرة. أو حتى شبه رسمى، وظل الأمر لغزاً فى مشاعرنا ونحن لا نكاد نصدق ما نسمع ونرى من أحداث غريبة اختير بيت الله الحرام مسرحاً لها ..؟

خطباء الفتنة متعددون

كان الخطباء متعددين، ولم يكن خطيباً واحداً كما نشر فى الصحف وردد فى وسائل الإعلام، لأن لهجاتهم كانت متفاوتة وضوحاً وغموضاً. فبعضهم لم نفهم مما يقول شيئاً سوى جرس اللفظ. وقام فى النهاية أحدهم يخطب بلسان فصيح، وكلمات واضحة مسموعة ويبدو أنه كان متمرنًا على فن الخطابة، وقد أدركت ذلك من إلقائه المحترف. وقد أخذ هذا يكثر من ذكر قصة " المهدي المنتظر " ويسرد ما ورد فيها من آثار مقدماً لكل أثر برقمه فكان يقول: الحديث الأول .. الحديث الثانى، الحديث الثالث .. وهكذا.

كما كان يحرص على ذكر سند الأثر الذى يذكره، فيقول روى فلان عن فلان، ويذكر راوى الأثر .. وكان يعلق على كل أثر بالإشارة إلى درجته من القوة والضعف، وكثيراً ما كان تعليقه على الآثار منحصرًا فى هذه العبارة .. وهو حديث صحيح .. ؟! سمعت كل ذلك وأنا جالس بالمقهى المجاور. فوقع فى نفسى أن هؤلاء البغاة المعتدين هم جماعة من غلاة الشيعة انتهزوا فرصة هذا الجمع الحافل من الناس، والذى يمثل فيه كل البلاد الإسلامية. بل والأقليات لترويج مبادئ شيعتهم .. ولم أكن أتوقع

أن الأمر سيعود مجرد "مظاهرة إعلامية" لترويج تلك المبادئ، ثم تنفض ضحى اليوم أو عشية. واكتفيت بهذا القدر من المشاهدة والمتابعة فعدت إلى الفندق بعد السادسة صباحاً. وفى طريقى إليه وجدت، سيارات النجدة التابعة للسلطات السعودية، وسيارات الإسعاف تملأ الميدان الفسيح الواقع أمام باب الملك عبد العزيز حتى مستشفى "جياذ" وجمعوا هائلة من الناس يقفون فى ذهول مما يجرى داخل الحرم، وقد أخذتني سنوات من النوم حتى الساعة التاسعة صباحاً.

وفى هذا الوقت سمعت طرقة على باب غرفتى ففتحت، إذا بالطارق شاب أزهرى مصرى نزل بالفندق بعدى بيومين، وأقام بالغرفة المجاورة، ولم أتعرف عليه إلا منذ ليلتين قبل وقوع الحادث الأليم. أيقظنى ليعلمنى بما يجرى فى الحرم، ولم يعلم أننى كنت "عكاشة" الذى سبقه بها. فاستمهمت الشاب الأزهرى ريثما ارتدى ملابس الخروج، وحدث بينما أنا أنظر من شرفة الغرفة إلى المسجد الحرام، أن أبصرت أحد "البغاة" يتجول وهو منحنى الظهر فى الطابق العلوى للمسجد الحرام، وكان يحمل سلاحه على كتفه "بنديّة" وربما كان يحمل فى يده مسدساً. بدا لى وهو يتجول "حذراً" أنه أحد "القناصة" يبحث عن ضحية. فأغلقت باب النافذة ونزلت إلى الشارع الفاصل بين الحرم والفندق.

البغاة يقتلون الجنود

كان الناس يقفون ينظرون وقد ارتسمت على ملامح كل منهم علامات الدهشة. إنهم فى ذهول. وحدث أن اكتفت السلطات السعودية حتى

هذه اللحظة بالتحفظ على أبواب الحرم المغلقة. فأوقفت خلف كل باب طائفة من الجنود المسلحين. وبدأ البغاة يطلقون النار على كل "جندي يرونه" وكانوا لا يخطئون إذا رموا أحداً منهم بطلقات الرصاص. وقد أبصرنا سيارة "جيب" واقفة معطلة وعلمنا أن البغاة أطلقوا النار على قائدها وهو من الجنود فأردوه قتيلاً، كما أبصرنا بجوار السيارة جندياً قد أصيب فاستلقى على الأرض ولم يستطع إلا تحريك رجليه تحريكاً لا يسمن ولا يغنى من جوع. ولم يستطع أحد من "العسكريين" الاقتراب منه لإسعافه، لأن اقتراب جندي منه معناه إطلاق الرصاص عليه هو الآخر، لأن البغاة حتى هذه اللحظة كانوا قد فرضوا سيطرتهم الكاملة على "الحرم" والمناطق المحيطة به. وقد أكد هذا تصريح لبعض القادة العسكريين بثه التليفزيون السعودي فيما بعد.

ومن الصور الرائعة التي ما زلت أذكرها بتفاصيلها وأتخيلها كأنها تقع الآن أن بعضاً من الشباب "المدني غير العسكري" قد رقدوا على الأرض وزحفوا على بطونهم متسترين خلف السيارة الجيب المعطلة. حتى وصلوا إلى الجندي المصاب وحملوه وهم حذرون حتى وضعوه في سيارة إسعاف انطلقت به إلى المستشفى. وأمل أن يكون ذلك "الجندي" بخير وعلى قيد الحياة. فالأمة في حاجة إلى أمثاله. وإن كان لقي نحبه فما عند الله خير وأبقى.

وفي العاشرة من صباح يوم الاعتداء (الثلاثاء غرة المحرم ١٤٠٠هـ) وبعدها بقليل شاهدنا طائرة هليكوبتر تحلق في الحرم ذهاباً وجيئة وعلمنا أنها تقوم بطلعات "استكشافية" لما هو موجود داخل الحرم الشريف من الناس الأبرياء الذين احتجزوا بداخله، وتستكشف مواضع

المعتدين وعتادهم. وعدتهم. كما سمعنا صوتاً مدوياً بدأ فى لحظة ثم اختفى فى سرعة البرق، وأنه ليخيل إليك أن ما بين بدئه وانتهائه لحظات طوالاً مع أنه بدأ وانتهى .. الآن .. وما تزال آثاره تدوى فى أذنيك، وهذه خاصة من خواص أصوات " الطائزرة الحربية " يصك سمعك وقد لاتستشعره تماماً إلا وقد انتهى مصدره. ومع أن الأزمة كانت فى ساعاتها الأولى فقد كنا نستبشر بتلك "الرود" المناسبة لهذه الجريمة البشعة. بل إن الكثير منا كان يأمل ألا يحين وقت صلاة الظهر إلا والمسجد الحرام عاد مفتوح الأبواب ليستقبل عشرات الآلاف من المصلين والعاكفين والركع السجود، ولم يدر فى خلد أحد أن الأزمة ستطول إلى ما استطالت إليه. إذ لم يعهد أحد أن يعطل المسجد الحرام يوماً أو بعض يوم. كما لم يعهد أحد أن تتوقف شمس الكون عن الإشراق فيه.؟

جولة قصيرة

وفى ضحى نفس اليوم فكرنا فى القيام بجولة قصيرة فى المنطقة المحيطة بالحرم الشريف. فوصلنا إلى ما بعد فندق أفريقيا .. ووجدنا جميع المحال توصد أبوابها ومنها ما أوصد بالفعل، ومنها من يبيع فى عجل متأهباً للإغلاق والانصراف، وقد ساعنا كثيراً أننا كنا نسمع بعض الناس يتحدث عن وجود "المهدى" فعلاً فى الحرم، وأنه يتلقى المبايعات من الناس، والذى ساعنا فى هذا أن الذين يتحدثون كانوا يعتقدون ما يقولون، بل إن شيخاً طاعناً فى السن وجه الكلام إلينا يخبرنا بوجود المهدى فى الحرم. وساعنا أكثر وأكثر أننا لم نجد الفرصة لإقناع هذا الرجل وأمثاله بأن هذا

الكلام الذى يقولونه إنما هو خرافة محضة. فكل شيء كان يجرى فى سرعة مذهلة. والناس يمجون بعضهم فى بعض. وفى مثل هذا " الجو النفسى " المضطرب يكون للإشاعة سلطان على النفوس، وأيما سلطان.



وفى هذه الأثناء، أثناء الجولة، رأينا القوات السعودية تضع المتاريس فى مداخل الشوارع الرئيسية المؤدية إلى ساحات الحرم الخارجية لمنع " السيارات" من المرور إليها. إكمالاً لخطة التحفظ على " الوضع " القائم، والتي أشرنا إليه من قبل. ولم يصحب هذا "التحفظ" أى رد إيجابى آخر، وقد كانت الشمس تكاد تتوسط " كبد " السماء وشاعت وسط هذا " الجو " شائعتان: إحداهما نقول إن المعتدين على الحرم الشريف هم من " أتباع " الزعيم الإيرانى الخمينى. وكاد يقوى من جانب هذه الشائعة ما سبق أن أشرنا إليه من خطبة أحد البغاة حيث أكثر من الحديث عن المهدي، ودعوة الناس إلى مبايعته، بل كان يضم إلى هذه الشائعة القول بأن القائمين بالاعتداء على المسجد الحرام إنما هم إيرانيون شيعة.

وكانت كل الظروف والملابسات ترجح هذا الاحتمال. إذ كان يقال قبل حدوث هذه الواقعة أن الحجاج الإيرانيين كانوا يرددون، وهم على جبل عرفات، هتافات لم يرض عنها جمهور المسلمين ولست أدري أحق ما قيل أم هو مجرد شائعة أخرى..

أما الشائعة الثانية فكان أصحابها يؤكدون أن القائمين بهذا الاعتداء من عناصر سعودية، وقد أكدت التصريحات والبيانات الرسمية فيما بعد أن معظم القائمين بالاعتداء سعوديون.

أنهينا الجولة وعدنا وسط حشد هائل من الناس إلى " الفندق " وكانت الشمس قد اشتدت حرارتها. وحان وقت أذان الظهر. ولم يسمع المسلمون الأذان يدوي من مآذن الحرم السبع الشامخات. واقعة خطيرة لم يشهد لها العصر مثيلاً. ولم تؤد صلاة الظهر في المسجد الحرام، واقعة أخطر تكساد السموات يتفطرن منها وتخر لها الجبال هدا. يوم عصيب من أيام التاريخ الحديث كل مصيبة سواه. فهي خطب يسير. لم يكد أحد يصدق ما يجرى حوله، ولكن الحقائق المؤلمة، والوقائع المؤسفة كانت أقوى من كل المشاعر والتخيلات، وليقضى الله أمراً كان مفعولاً.

أليس هو القائل: ﴿ أَحَسِبَ النَّاسُ أَنْ يَتْرَكُوا أَنْ يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ ﴾ (العنكبوت: ٢، ٣).

وهذه الآية، ونظيرتها تمثلان - والله أعلم - سنة الله في الأمم والجماعات.

أو ليس هو القائل: ﴿ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٥٥).

وهذه الآية تبين - والله أعلم - سنة الله في الأفراد، وحادث الاعتداء على الحرم الشريف واحدة من تلك الفتن التي يبلو الله بها عباده جماعات وأفراداً. والجماعة التي تمحصها الفتنة تكون أقوى ما تكون على مواجهة الأخطار. ولم تخل فتنة الاعتداء على الحرم الشريف من مغزى نافع للأفراد والجماعات على حد سواء. وسنرجئ الحديث بالنسبة للجماعات. ونسجل هنا صوراً رأيناها رأى العين قام بها أفراد في أخطر

المواضع وأكثرها تعرضاً للهلاك. وليس هناك أسخى فى الكرم والبذل من حالة إنسان يقدم على موضع يحمل فيه روحه فوق كفه وهو يعلم أن هذا الموضع إنما هو أقرب طريق إلى الموت. وخاصة إذا كان السلاح الذى سيقفل به يحملهُ عدو أحق يراه والمقدم لا يراه وقد حدث هذا فى اليوم الأول للاعتداء الوخيم. وبعد أن انتصف النهار واشتدت حرارة الشمس.

بطولات نادرة

فقد ذكرنا قبلاً أن القوات السعودية اكتفت فى أول الأمر بالتحفظ على مداخل مناطق الحرم. وأبواب الحرم نفسه، فوضعت خلف كل باب من الخارج مجموعة من الجنود المسلحين. فلما انتصف النهار تعرض هؤلاء الجنود لحر الشمس اللافتح، وللظما الشديد وهم ملاصقون لجدران الحرم، وما كان أحدهم يستطيع أن يخطو خطوات إلى الأمام، لأنه إن خطا ظهر أمام المعتدين المستترين فى الدوريين الأول والثانى، والمراقبين فى المنائر، وهؤلاء كانوا كالكلاب المسعورة إذا أبصروا جندياً أمطروه بوابل من طلقاتهم النارية.؟

ولهذه الاعتبارات كلها أثر الجنود البقاء فى مواضعهم، فهى أقل ضرراً من الأخرى، إذ الخطر فيها مقدور عليه، أو هو مجرد احتمال وإن صحبته مشقات. أما تجاوز هذه المواضع فالخطر فيه محقق لا محالة؟ لأن المعتدين كانوا لهم بالمرصاد. ولأن لهذه اللحظة لم تقم القوات الرسمية السعودية بأى رد فعل إيجابى رادع، فكان المعتدون يصيبون ولا يصابون.

لم يقف المدنيون موقفاً سليماً أمام تلك الأخطار المحدقة بالجنود المرابطين خلف أبواب الحرم من الخارج، ولم يتخذوا منهم مجرد ملهاة أو تسلية كما هو شأن " الجماهير " فى الخطوب العظام والمجهولة المنشأ والغاية. بل تجلت روح من البطولة قام بها شاب نبيل العواطف، مرهف الحس، ذكى التفكير، فلقد كان " البغاة " لا يطلقون النار على المدنيين إذا رأوهم يسرون وليس معهم عسكريون، فاستغل هؤلاء الشباب هذه الظاهرة، وأخذوا يحملون معهم الأثواب البيضاء (الجلابيب) وهو الزى الغالب على كل الأزياء للمدنيين فى المملكة. يحملونها منخفية ثم يسير الواحد منهم كأنه يقصد مكاناً بعيداً، وينحرف فى سيره مقترباً من جدران الحرم. وكان انحرافه يخضع لحساب دقيق حتى لا يتنبه له " القناصة " المنتشرون فى أدوار الحرم الشريف. فإذا ما سمحت له فرصة التخفى عنهم لاقترباه من الجدران. هرول مسرعاً نحو الجنود المرابطين خلف الأبواب، وأعطاهم أو أعطى بعضهم ما معه من جلابيب. ويقوم الجندى على الفور بخلع غطاء الرأس الرسمى، ثم يرتدى الثوب الأبيض ويضع سلاحه تحت إبطه ويسير كأنه مدنى لا يحمل سلاحاً. وبعضهم كان يتجه نحو الفندق الذى نقيم فيه لأنه أقرب مكان له. ويتناول ما شاء من " مرطبات " ماء وغير ماء يروى ظمأه الشديد. ثم ينضم إلى القوات المنسوب هو إليها.

وبهذه الطريقة المدهشة استطاع شباب الشعب المكى أن يخلص عشرات الجنود من وهج الشمس وحدة الظمأ، ومن رصاص المعتدين معاً. تكرر هذا المشهد أماناً مرات وكنا ننظر إلى كل جندى ينجو بهذا الأسلوب كأنه مولود جديد.

وإلى هذه الصورة، أو قل الصور المشرقة نضيف صورة أخرى تجود بها روح المسلم فى الأزمان تخفيفاً على إخوانه المسلمين، فتماماً كما فعل عثمان بن عفان - رضى الله عنه - حين اشترى "البئر" من اليهودى ووقفها لمنافع المسلمين فى عام الجذب، لما رأى اليهودى يتحكم فى مصائر الناس مستغلاً حاجتهم إلى الماء، أو قل "إلى الحياة"، تماماً كما فعل عثمان - رضى الله عنه - ، فعل أصحاب "المشروبات" المجاورين للحرم فقد أباحوا للجنود أن يشربوا ما يشاءون من "المرطبات" دون أن يدفع أحدهم ثمن ما يشرب. بل إن من كان يهم منهم بدفع الثمن كان لا يقبل منه. وقد أسهم مدير الفندق الذى نقيم فيه "حسن محمود السماك" بنصيب وافر. فقد أباح للجنود أن يشربوا هنيئاً مريئاً محتويات "ثلاثتين" كبيرتين رافعا أمامهم كل حظر كان مفروضاً عليهما من قبل. وكان لهذا الصنع من الشباب، ومن مجاورى المسجد الحرام عند الجنود وقع طيب الأثر، بل إننا جميعاً كنا فى سعادة لما رأيناه من روح إسلامى أصيل يتجلى فى الشدائد كالشمس المتألقة.

أسرة تفقد .. ثم تعود

مازلنا فى أحداث النصف الأول من يوم الاعتداء، وهانحن الآن بعد الظهر بنحو ساعتين، جلسنا فى بهو الفندق، فإذا بنا نفتقد الأسرة المغربية فلم نر منهم أحداً، وقد ذكرنا من قبل أن الأسرة المغربية كانت مكونة من ثلاثة شبان وأم اثنتين منهم، وهى خالة الثالث أو عمته لا أذكر الآن بالضبط، وقد أثار مخاوفنا عليها قول مدير الفندق إن هذه الأسرة تواظب

على تأدية الصلوات الخمس فى الحرم، وخاصة صلاة الفجر، فوقع فى أنفسنا أنهم - لا محالة- محتجزون داخل الحرم ضمن آلاف المصلين، ولم نكن ندرى ماذا يفعل بأولئك المحتجزين، هل هم آمنون، أم يلاقون هواناً وعنتاً؟ وما الغاية من احتجازهم يا ترى ..؟ وهل إلى خروج من سبيل..؟ وبينما نحن - كذلك - إذا بالإسرة تأتى بأربعة أفرادها وكانوا خارجين من المسجد الحرام لتوهم، فاستوقفنا أحدهم (أحمد بن الحسن) وكان أطلقهم لساناً باللغة العربية الفصحى ويقوم فى بلده بوظيفة خطيب مسجد، وهو على جانب كبير من الثقافة الإسلامية الصحيحة. استوقفناه ليقص علينا قصتهم وهم داخل المسجد الحرام إلى ما بعد ثلاثة أرباع النهار، فقال:

أسرار من الداخل

بعد أن فرغنا من صلاة الفجر بدأت ظاهرة عجيبة داخل المسجد. طلقات النار تتصاعد، والأبواب أغلقت ووقف عليها الحراس، ولم يسمح لنا بالخروج، بل أجلسونا تحت تهديد السلاح وقالوا لنا انتظروا واسمعوا .. ثم أخذوا يخطبون وكل من يحاول الهم بالوقوف يجلسونه، وقالوا لنا بعد قليل سيظهر المهدي بين الركن والمقام عليكم جميعاً ان تبايعوه وتطيعوه...؟!

وانتظرنا -الحديث لأحمد بن الحسن المغربي- حتى دعونا لنبايع المهدي. فوجدناه شاباً متوسط العمر يجلس بين الركن والمقام ويقولون لنا: هذا هو المهدي فبايعوه. بايعناه - بعض المصلين الذين لم يكتمل وعيهم

بإيعوه عرفاناً - والبعض المستتير بإيعه مجارة على حد قوله تعالى: ﴿إِلَّا
مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ﴾ (النحل: ١٠٦).

وبعد الفراغ من البيعة أخذ أعوان ذلك الدجال يأتونه بالأسلحة ويقوم
هو بتوزيعها وهو جالس فى مكانه على بقية أفراد العصابة ثم يشير على
كل من يسلمه السلاح بأن يقف فى المكان الفلانى، أى أنه كان يقوم بتوزيع
الأدوار وتحديد مواقع (المرابطة) لأتباعه المخدوعين الخادعين؟!.

ونتوجه للحاج المغربى بهذا السؤال. متى خرجتم وكيف خرجتم؟
فيقول: خرجنا قبيل الساعة الثالثة، حيث زحفنا إلى الدور السفلى وأخذنا
نبحث عن مخرج، ومعنا كثير من الحاجج والمصلين، حتى عثرنا على
نافذة عالية وضيقة، ولكنها تسمح بأن يخرج منها الإنسان وهو مسحوب لا
قائم. فآخذ الحاجج والمصلون يرفع بعضهم بعضاً فيمد الحاج رأسه ويتلقاه
من الخارج آخرون فيحملونه حتى يصل إلى الأرض مستقيماً.

عمل شاق تعرض له هؤلاء الأبرياء، ويبدو أن جميع الحاجج الذين
قدر الله لهم الخروج قد خرجوا بهذه الوسيلة، فكم يا ترى استغرق
خروجهم من الوقت؟ إن اليوم الأول بالطبع لم يكف لخروج جميع من
بالمسجد الحرام من الحاجج والمصلين. فبعضهم بات ليلة أو ليلتين أو ثلاثاً
ولا ماء ولا طعام ولا استقرار. بل إن بعض الحاجات كانت تصطحب
معها طفلاً أو طفلين ظلت على تلك الحال حتى قدر الله لها من بعد عسر
يسراً.

وبعض الحجاج والمصلين وخاصة كبار السن، قد لقوا مصرعهم من هول المصيبة، وشدة الازدحام ومشاق الخروج والأمر لله من قبل ومن بعد.

بعض الآثار التي رددوها

ومن بادئ الأمر أسفرت نية المعتدين على قبح مقصدهم. وقد اشتملت خطبهم على كثير من الزيف. فإذا ما تجاوزنا ذكر الآثار التي استندوا إليها في ظهور المهدي. فإنهم وغيرهم من المسلمين يرددون تلك الآثار وخاصة لورودها في بعض كتب السنة ومن تلك الآثار التي ذكروها:

" عن أبي قتادة - رضى الله عنه - قال: قال رسول الله - صلى الله عليه وسلم - " يبيع لرجل بين الركن والمقام، ولن يستحل البيت إلا أهله. فإذا استحلوه فلا يسأل عن هلكة الأرض " ومنها أن عائشة - رضى الله عنها - رأت الرسول يفعل شيئاً في المنام لم يفعل مثله. فلما سألته عن السبب قال: " العجب من أناس من أمتي يؤمنون هذا البيت برجل من قریش لجأ إلى البيت حتى إذا كانوا بالبيداء خسف بهم ".

ومنها الحديث الذى ينسب بالمهدي المنتظر من أن اسمه كاسم الرسول - صلى الله عليه وسلم - (محمد بن عبد الله، ومن قریش، ومن نسل الحسين بن علي - رضى الله عنهم - . وادعى الخطيب أن جميع الصفات الواردة في الأحاديث عن المهدي المنتظر الذى يملأ الدنيا عدلاً

ونورا، كما ملئت ظلما وجورا، كل تلك الصفات منطبقة على مهديهم الذي طالبوا المسلمين بالبيعة له وهو محمد بن عبد الله القحطاني.

خرافات زائفة

أقول إذا تجاوزنا هذه الزاوية فإن قادة المعتدين قد أضافوا إليها بهتاناً خالصاً لا يرتاب فيه أحد. فهذا خطيبهم يقول مخاطباً المسلمين المحجوزين داخل الحرم، يقول لهم بالحرف الواحد:

"ونبشركم أيضاً أنه قد رؤى في المنام المرائى الكثيرة التى لا تحصر عن المهدي. وفي بيان أنه هذا الرجل (يقصد محمد بن عبد الله القحطاني الذى ادعى أنه المهدي) وكذلك من أناس لا يعرفونه من قبل. فلما رآوه عرفوه من رؤياهم إياه فى المنام ولعلكم قد بلغكم هذا. ويستشعر الخطيب أن هنا فجوة ينبغي أن تملأ، وهى هل كل ما يرى فى المنام يكون صحيحاً؟

نعم نقول إنه استشعر هذه الفجوة، ولذلك أخذ يذكر بعض الأحاديث التى تدل على صدق رؤيا المؤمن، مستخلصاً منها أن الرؤى التى شوهدت عن "مهديهم" صادقة لا ريب فى ذلك".

ثم يستطرد الخطيب ويقول بالحرف الواحد:

" فقد وردت قرائن فى هذا الرجل (يعنى مهديهم) على ثلاثة أحوال. القسم الأول: جاء فى مرائى أناس لا يعرفونه، عرض عليهم فى المنام أن هذا هو المهدي. فقابلوه فى اليقظة وعرفوه بعلامات ظاهرة فيه.

والثانى: يقصد القسم الثانى - رأوا أن المهدي سيخرج قريباً؟

والثالث: رأوا تاريخ بيعته، ورأوه يبيع له بين الركن والمقام.
وغالبهم - أى غالب الذين آمنوا به - لا يعرف هذا الرجل (مهديهم) وقد
بلغت - أى الروى المنامية - أكثر من عشرين .. بل أكثر من خمسين
رؤيا إلى هذا اليوم ومن أراد التثبت فليسال مراس بن ملحاط الغامدى
ويوسف أكبر آل رضا " ؟..!

وهذان من أتباع المهدي وظاهر من كلام الخطيب أن دورهما كان
فى ذلك اليوم هو رواية الروى المشار إليها وقصها على من يريد التثبت
من شأن المهدي المطلوب التصديق به ومبايعته الآن؟

توزيع الأفراد على المسجد الحرام

كان هذا الخطيب يمثل الجانب الفكرى لفكرة المهدي فى صبيحة ذلك
اليوم. وبرز قائد آخر كانت مهمته توزيع الأفراد المسلحين على المواضع
المختلفة داخل الحرم وفوق أسطحه ومناثره. وننقل للقارئ فقرات من تلك
التوجيهات أو الأوامر العسكرية التى شهدناها صحن الحرم الشريف فى
مطلع العام الهجرى الخامس عشر.

خطابة .. وتاكتيك

قاطعت تلك الأوامر " العسكرية " كلام الخطيب الذى أخذ يتحدث
عن المهدي مرات. ومما جاء فى المرة الأولى قول الموجه العسكرى:
" الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ".

يا إخواننا انتبهوا. يا أحمد اللهيبى اطلع السطوح (يعنى سطح المسجد الحرام) ومن رأيته يتمرد على البيان فأطلق عليه النار (يعنى بيان ظهور المهدي) يا سلطان ابن جابر الله إلى الجهة الشرقية. فمن رأيته يتمرد أنت وبعض الإخوان فأطلقوا عليه النار، لا يسوى عليكم فوضى أو يهدد الإخوان. ياردنى الجهة الغربية. الجهة الغربية يا عبد الله الحريسى. الجهة الشمالية .. اسمع يا راكان اطلع فوق مع اللهيبى، الجهة الجنوبية لها محمد بن مبارك الكبير اللى كان فى المدينة، إلى الجهة الشمالية الجنوبية بقية الإخوان. شاهد وعمر بن جابر الله. وسلطان بن جابر الله، وأبوهلال يبقون بين الركن والمقام مع كثير من الإخوان يمسون محللتهم. البيعة بعد البيان (يعنى البيعة للمهدي المنتظر) وبعد ما يهدون الناس (قالها مرتين) ثم تابع قوله:

" ليظهر للناس الحق فمن كان يريد الحق فليات به .. ومن اعتدى علينا قرب العالمين خير .. فاسمعوا وانتبهوا .. "

ويعود مقاطعا الخطيب مرة أخرى:

" عيد بن إسماعيل .. ردىنى اسمعوا: عيد بن إسماعيل ودينى تذهبون مع أحمد الثانى وتأخذون بعض الإخوان اللى ما معاهم أسلحة، وتعطوهم وتوزعون عليهم الرشاشات. وأسلحة لبعض الإخوان الذين دخلوا بدون أسلحة. اجتمعوا بين الركن والمقام. اذهب يا عيد إلى الركن والمقام .. اذهب يا ردىنى إلى الركن والمقام .. اذهب يا أحمد الثانى إلى الركن والمقام. اجتمعوا فى هذا الموضع، سيظهر واحد من الإخوان تعرفونه خلوا مبايعته بعض من الناس؟ (عبارة غامضة) نحن نعرف إخواننا الذين يطاردون، ورب العالمين يقول: ﴿ أَخْرَجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا...! ﴾

(النساء: ٧٥) فإذا فهمنا هذا الشيء الذى هو من مهمتكم .. (تخلل هذه الجملة طلاقات الرصاص فى أجواء الحرم الشريف) ثم عاد يقول:

" فهيد بن ردن (مرتين) اسمع بارك الله فيك اسمع يا أبو هلال (مرتين كذلك) إلى الركن والمقام. يا سيف إلى الركن والمقام. يا مالك إلى الركن والمقام (يموج المصلون داخل الحرم ويحاول البغاة إجلاسهم وإسكاتهم بالقوة. ويقول بعضهم للمصلين: " المسألة ليست هز رعوس، ولكن فيها ضرب رشاشات " ثم يعود الموجه العسكرى للبغاة فيقول:

وأنتم يا جميع الإخوان اجلسوا اجلسوا وليكن جميع الإخوان بين الركن والمقام .. عجاج بن جابر الله انتبهوا فى توزيع الإخوان بين الركن والمقام حتى يتهى أمر البيعة .. ولكن اسمعوا يا إخواننا الثانين البيعة تتأخر بعد البيان ليكونوا على بيعة.

يا عبد الله بن إسماعيل بن مبيريك اطلع إلى السطوح انت والجماعة ومعكم درايبيل ورشاشات. أطلع إلى السطوح يا عبد الله بن إسماعيل. حتى عند المناير نبغى (نريد) رشاشات عند المناير. اطلعوا البيعة ستتأخر قليلا. اطلعوا اطلعوا يدلونكم الإخوان إلى أقرب طريق تطلعون إلى فوق .. يا محمد بن مبارك اللى كان فى المدينة لماذا الجهة الجنوبية، خذ سليمان واذهب إليها فيها باب يحتاج تكسيره (يعنى إغلاقه) مراس بن ملعاط الغامدى، ويوسف أكبر آل رضا .. وإلى هنا يسود الجوهرج ومرج اضطر معه البغاة لتهدة الناس، ثم ظهر صوت يدعو الناس إلى مبايعة المهدي وسط هتافات بالتكبير والتلهيل من أفراد البغاة. ثم دوت فى الوقت نفسه طلاقات الرصاص .. !؟

خطوات المرحلة الأولى

كانت هذه هي المرحلة الأولى من مراحل تلك الجريمة النكراء، وقد تمت فيها بين الفراغ من صلاة الفجر إلى إشراق الشمس أو بعدها بقليل، وهي تتلخص في الأمور الآتية:

١- اقتحام المسجد الحرام بالأسلحة والمعدات اللازمة للإقامة من طعام وماء وفرش وأغطية.

٢- محاولة إقناع المصلين بأن ما ورد من آثار منسوبة إلى النبي - صلى الله عليه وسلم - عن المهدي المنتظر منطبقة على مهديهم تمام الانطباق!؟..

٣- افتراءاتهم بأن هذا " المهدي " قد شوهد في المنام لأناس لم يعرفوه فلما رأوه أقرّوا بأنه المهدي ..!؟

٤- توزيع أفراد البغاة على أماكن " استراتيجية " داخل المسجد الحرام وفوق أسطحه وأمام أبوابه وإحكام الرقابة على المناطق المحيطة به.

٥- إرهاب المصلين داخل المسجد الحرام وحملهم على البيعة لمهديهم تحت دوى طلقات النار!؟..

٦- إهدار دم كل من يعترض على البيان أو يظهر عدم الاقتناع ... به!؟..

٧- تعطيل المسجد الحرام وصد الناس عنه فلا أذان ولا إقامة ولا صلاة، ولا طواف ولا سعى لمن أراد أن يعتمر وهذه جريمة الجرائم على الإطلاق!؟..

حديث للعميد الظاهري

وننقل للقارئ جزءاً من حديث أدلى به العميد فالح الظاهري، وقد عهد إليه فيما بعد بمهمة تطهير الحرم الشريف مما منى به، وهو في هذا الحديث يصور في وضوح أحداث الساعات الأولى من هذا العدوان الشنيع، وتم نشر هذا الحديث بالصحف ونقله من جريدة " المدينة "، وهي إحدى الصحف اليومية التي تصدر في "المملكة العربية السعودية" يقول العميد الظاهري:

في صبيحة يوم الثلاثاء غرة المحرم الحرام صحت مبكراً على غير عادتي وكنت أشعر بالسعادة والبهجة في أعماقي بمناسبة حلول العام الهجري الجديد، وكما تعودت دائماً في كل المناسبات أن أتخذ طريقى إلى مكة المكرمة حيث تقيم الأسرة الكبيرة المتعددة الدور، المنبئة فى معظم أحياء مكة، تعودت أن أزور عائلتي كلا في داره مهناً بتلك المناسبة، وما أجمل مناسبة دخول عام جديد يشعر فيه المرء باستمرار حياته، متفائلاً بعام جديد ربما كان أكثر سعادة من عام سابق.

بحكم هذه العادة الحسنة اندفعت بسيارتي شطر بيت الله مؤملاً أن أصلى الظهر فى المسجد الحرام بعد أن أبلغ دور بعض من الأسرة الذين يسكنون فى الشبكة والمسفلة وأجياد والشامية (١). وكنت أود إكمال الزيارات بعد صلاة الظهر ثم أقبل لدى الوالدة الكريمة.

١- أسماء مناطق سكنية بمكة المكرمة.

الفتنة كيف بدأت

بلغت مكة فى الحادية عشرة من صبيحة ذلك اليوم، واغتيمت فرصة مرورى بحى النزهة لأقضى بعضاً من حاجتى لدى أقاربى القاطنين بذلك الحى .. ثم اتجهت إلى جهة الحرم الشريف مروراً بشوارع السنتين، ثم كوبرى المنصور إلى الحفائر، وهناك كان تحول طريقي بأمر من المرور فأخذت طريق جسر الشبيكة الذى أدى بى إلى الهجلة، أردت دخول السوق الصغيرة فمنعنى رجال المرور بقولهم الطريق مقفل، وبدون جدال اتجهت إلى شارع الهجلة المؤدى إلى المسفلة حيث حاولت دخول المسفلة من المفترق فوجدت الطريق موصداً، فسألت جنود المرور فى السبب فى قفل الطريقين إذ لا سبيل لى إلى بلوغ المسفلة أو أجباد أو الشبيكة إلا من هذين الطريقين؟ فأجابنى أحدهم خذ طريقك إلى ريع بخش، وحاولت معرفة السبب فلم يجبنى إلا بكلمة واحدة " إذا كان برأسك شىء فعليك بالحرم " وكان جواباً مبهماً لم يستطع ذكائى فك رموزه وماذا برأسى وماذا الذى يصلح رأسى فى الحرم كلام عجيب مريب .. لم أستطع فهمه .. ووجدت ثغرة فى الطريق فنزلت منها إلى شارع المسيل المؤدى إلى الحرم وكانت العوائق منتشرة به فأخذت ذلك على أن إصلاحات تجرى فى الشوارع كما تعودنا ذلك فى مكة وجدة طيلة أعوام، وراودتنى فكرة الكتابة عن هذه العوائق التى قفلت معظم الطريق المؤدية إلى الحرم مستكراً ذلك خاصة ونحن ما نزال فى موسم الحج ومكة ما زالت غاصة بالحجاج، وانتهى بى التسيار إلى مدخل شارع المسيل من جهة الحرم حيث وجدت الشارع محكم القفل ورجال الأمن يكمنون فى أماكن متعددة فى ذلك الشارع.

قيلة عند الوالدة لم تتم

ترجلت .. وتركت السيارة لأخذ طريقى إلى أحياد حيث عمار الكعكى، وما أن خطوت إلى ميدان دار الأرقم حتى لاحظت ما أنكرت. حركة المرور متوقفة تماماً إلا من بعض المارة من المواطنين والحجاج .. ووصلت إلى الحرم وجدت الأبواب مغلقة والهدوء يسود المنطقة، فلم يهتد عقلى لسبب ذلك، ولم يدر فى خلدى أى مخاطرة بنفس الموقف، وتملكتنى الحيرة فسألت أحد المارة لماذا أقفلت أبواب الحرم ..؟ فأجابنى الله أعلم .. قلت نعم كفرنا إن لم نكن نعلم أن الله أعلم، ولكن ما الذى تعلمه أنت قال لا أدرى، هناك رصاص ينطلق من فتحات الحرم ليصيب العسكريين، عجباً ولماذا ومن فى الحرم وماذا يجرى داخله .. قال الله أعلم.

وهكذا اتجهت إلى أحياد ولم أجد من أحد يجيب عن سؤالى حتى رجال الأمن يقولون لا ندرى حتى اعترضنى أحد ضباط الأمن العام مسلماً فسألته ما الأمر قال رصاص ينطلق من الحرم فيصيب جنوداً، وقد يصيب مدنيين وإنى أرجو أن تأخذ طريقك بجوار المنازل ولا تخاطر بنفسك بالسير وسط الشارع.

لحظت ما أنكرت

عجباً ألا يمكن أن أعرف شيئاً .. قال ربما كان الأمر خطيراً، ولكننا لا نعلم الحقيقة كاملة ولكن سمو الأمير سلطان وسمو الأمير نايف وسمو

الأمير فواز فى فندق شبرا، لابد أنهم على علم تام بالأمر، وسارعت نحو الفندق والضابط الحريص على حياتى يوصينى بالسرعة فى قطع عرض الشارع هذا هو الفندق فأين الأمراء .. هم فى الطابق الأول فى صالون الاستقبال، وصعدت ومنعنى رجال الأمن الواقفون على الباب حتى استطعت إثبات هويتى واستأذن لى مدير شرطة مكة، ودخلت الصالون وأنا فى حالة ذهول تام.

الأمراء أخبرونى بالقصة

سلمت على أصحاب السمو وسألت .. فأخبرت بالقصة التى عرفها كل الناس اليوم وتمكننى شعور الغضب على هذه الفئة الضالة التى اتخذت من المسجد الحرام قلعة تصب منها الموت على الأمنيين الذين لا علم لهم بما حدث داخل المسجد الحرام .. وقدمت نفسى للعمل على أنى رجل قتال محترف ومازلت والحمد لله فى كامل قوتى البدنية والعقلية والعسكرية، إذن أنا مجند للقتال فوراً فرحب بى أصحاب السمو الأمراء، وناقشت معهم الموضوع على أنه عملية عسكرية تتطلب الحسم السريع، وبينما نحن فى النقاش والتفكير إذ دخل علينا صديق قديم كان موظفاً كبيراً بوزارة الدفاع هو الأخ الكريم صالح الظاهرى كان يصيح بأعلى صوته ويستغيث ويعرف نفسه فأخذته إلى جانبى ورجوته أن يهدأ لنسمع منه، وهكذا بدا يروى لنا القصة كما رآها من أول لحظة بعد إتمام صلاة الفجر حتى خروجه من المسجد مساء ذلك اليوم.

القصة كما يرويها الشاهد

رجال مسلحون ببنادق ورشاشات صغيرة، خرج من بينهم رجل طلب من المصلين أن يبايعوا الإمام " محمد بن عبد الله القرشي بن فاطمة الزهراء " - وهكذا أطلق هذا الاسم على من ادعى أنه المهدي المنتظر، وذلك ليوافق ما ورد في بعض الأحاديث المشكوك في صحتها أن المهدي سيكون اسمه واسم أبيه موافقين لاسم الرسول - صلوات الله وسلامه عليه - واسم أبيه - كما ألصق لقب القرشي ابن فاطمة الزهراء ليطابق الحديث أن المهدي من قریش ومن ذرية الرسول الكريم عليه أفضل الصلاة وأجل التسليم .. فزع وهلع وذهول أصاب المصلين، فمنهم من حاول الهرب، ومنهم من تقدم للمبايعة تحت ضغط السلاح، وخطب الإمام المزعوم خطبة دامت خمسا وعشرين دقيقة شرح فيها أوضاع المجتمع الذي فسد وضل عن الدين، وجاء ليملاً الدنيا قسطاً وعدلاً إلى آخر الخرافات والتكهنات التي قذف بها لسانه بعد أن أملاها عليه الشيطان ثم دعا الناس إلى الاستجابة لدعواته والانضمام إليه فإنه هو المهدي المبشر به.

قال أخى صالح كنت أحاول جاهداً أن أقلت من قبضتهم المسيطرة فما استطعت حتى وجدت نفسى قريباً من المسعى حيث تسللت من بين الصفوف قائماً مرة وقاعداً أخرى .. ثم حاولت تسلق نوافذ المسعى الحديدية وحشرت نفسى حشراً فى إحدى الفتحات وما كدت أخرج جسمى كله من الفتحة حتى وجدتني أقف على أرض الشارع تاركاً عباءتى وغترتى وعقالى وابتعدت مهرولاً عن المنطقة، وعرفت أن أصحاب السمو الأمراء يستقرون فى هذا الفندق، ثم بدأ يصيح هؤلاء كفرة، خنازير،

جبايرة قتلة خلصونا منهم .. هذه هي الرواية مختصرة كما رواها شاهد عيان ممن صلوا الفجر في المسجد الحرام.

إن فقد اتضحت لى الصورة وظهرت معالمها واضحة، فما هو العمل السريع الحاسم الذى يجب أن نتخذه لسحق هذه الفئة المتمردة الخارجة على مااجتمع عليه أمر هذه الأمة.

الأمر لله أولا وأخيرا .. والرأى والعمل لولاة الأمور، وإننا إن شاء الله لمخططاتهم وتوجيهاتهم لمنفذون.

هذا كلام صادر من رجل مسئول يقدر معنى كل كلمة تقال، وهذا الوصف يلتقى مع ما قدمناه فى السطور السابقة. وإن زاد أن بعض رجال الأمن كانوا يؤدون مسئولياتهم التى أسندت إليهم فى ذلك اليوم العصيب وهم لا يعلمون شيئا عن حقيقة ما جرى، لأن ما حدث كان صدمة لكل المشاعر، وليس فى هذا غرابة، فإن الجنود غالبا ما تصدر إليهم أوامر محددة يقومون بها دون أن يعلموا لماذا هم يفعلون ما يفعلون، فالعلم فى مثل هذه الأمور موكول إلى "القادة" بالطبع.

وفندق " شبرا " الذى وردت الإشارة إليه فى حديث العميد فالح الظاهرى هو فندق " ضخم " يقع فى المنطقة المحيطة بالحرم الشريف قبالة مستشفى "أجياد " الذى ورد ذكره فى حديث العميد كذلك.

قلنا مرات فيما سبق إن رد الفعل على هذا الاعتداء قد تباطأ إلى ما بعد ثلاثة أرباع النهار من يوم الثلاثاء غرة المحرم ١٤٠٠ هـ، بينما كانت عواطف العامة من الناس تغلى كغلى الحميم، إنهم كانوا يؤدون أن ينطلق الرصاص على " البغاة " الذين انتهكوا حرمة " الحرم " الشريف فى

نفس اللحظة التي ظهرت فيها " مقاصدهم " الضالة المضللة، كل الناس كنت تراهم فى شرود وحيرة هذا من ناحية، من ناحية أخرى فإنهم كانوا شرارة غضب عنيفة على هذا الفعل القبيح (احتلال الحرم) الشريف، وعلى مرتكبيه ومديره الأثمين.

اتضح السّر

ولكن سرعان ما اتضح للجميع سر ذلك " التباطؤ " فى رد الفعل.
وذلك للأمور الآتية:

أولاً: إن الاعتداء لم يقع على بقعة " عادية " من بقاع الأرض، بل وقع على أطهر بقعة وأشرفها وأقدسها على وجه الأرض وقع على المسجد الحرام الذى جعله الله مثابة للناس وأماناً. والعدو تحصن داخل الحرم فما حكم القتال فى الحرم إذن .. إن الموضوع - بداهة - مرهون بمعرفة رأى الدين أيجوز القتال أم لم يجز ؟.

ثانياً: إن المعتدين البغاة قد احتجزوا معهم داخل الحرم بعض الحجاج والمصلين الأبرياء، وطلقات النار لا تفرق بين آثم وبريء، فكل من تصيبه إنما هو " عرضة " للخطر، موتاً أو ما هو دون الموت، ولا بد لهذه من فتوى وعلاج.

ثالثاً: إن رد الفعل حين يحدث قد يصيب محتويات الحرم نفسه الكعبة المشرفة - مقام إبراهيم - حجر إسماعيل - زمزم - المنائر - إلخ، فالأمر محتاج إلى حكمة وتبرير.

رابعاً: رد أى فعل مشروط فيه - حتى يحقق غايته - معرفة تامة بالظروف والملابسات المحيطة به، وفى موضوع الاعتداء على الحرم الشريف كان رد الفعل من حيث هو رد فعل محاطاً بعدة مشكلات معقدة أشد ما يكون للتعقيد.

فالحرم نفسه يقع فى منطقة آهلة بالعمارات السكنية، وكذلك المؤسسات العامة والمحال التجارية، إن الحياة حوله فى أتم صورها، هذه واحدة.

والثانية: موقع العدو نفسه داخل الحرم ما هى تفاصيله؟ أين يتمركزون ولين يراقبون؟ وكم عددهم؟ ومن هم يكونون؟ وأسلحتهم ما نوعها وما مدى تأثيرها، واستمرارها ..؟

والثالثة: رد الفعل نفسه من أين يبدأ وإلى أين يتجه، خصوصاً إذا وضعنا فى الاعتبار أن الحرم حسن حصين جداً يصعب التغلب عليه من الخارج، وهذا ما حدث بالفعل كما سيتضح من سير الأحداث.

إن الوضع ليس كما كان يتصوره العامة من الناس أشبه ما يكون بلعب "الكرة" يدفعها فريق، ويصدها فريق آخر ودقائق معدودة تحسم الأمر بين الفريقين بالفوز أو التعادل إنما هو وضع خطير جداً، خطير فى حدوثه، لم يكن صدمة لفقادة المملكة وسلطاتها وأجهزة أمنها فحسب، بل كان صدمة لغرابته لكل المشاعر المؤمنة وغير المؤمنة.

كانت أسى وحسرة لمشاعر المؤمنين، وشماتة وفرحاً لغير المؤمنين الذين إذا أصاب المؤمنين سيئة فرحوا بها، وإن تصبهم حسنة تسوهم، والحمد لله فقد أنقذ الله حرمة الأمن على أيدي فتية مؤمنين، فلم تطل حسرة مؤمن، ولا دامت شماتة الشامتين، وتلك الأيام يداولها الله بين الناس،

والحق هو الحق، وإن مرض فإنه لن يموت، والباطل هو الباطل، وإن هاج وماج فإنه صائر - لا محالة - إلى الخمود، كفى بالحق حقاً إنه حق. وكفى بالباطل باطلاً إنه باطل.؟ هل يستويان - الحمد لله بل أكثرهم لا يعلمون.

استفتاء العلماء

تبددت حيرة الناس، واختفى تساؤلهم عن السر وراء بطؤ رد الفعل حين بثت وسائل الإعلام - هنا - في مكة المكرمة والعواصم الأخرى أن ولاية الأمور لم يتعجلوا ردود الفعل حتى عرضوا الأمر على أصحاب الفضيلة العلماء وطلبوا منهم إصدار فتوى شرعية مستندة إلى البرهان، والدليل حول ما جرى وما يجوز أن يواجه به من مواقف. وهذا سلوك إسلامي بلا نزاع أن يستفتى ولاية الأمور من الساسة أصحاب الرأي من العلماء في معضلات الأمور ومشكلاتها، ولِمَ يتوان السادة العلماء في إبداء الرأي الإسلامي تجاه هذه الجريمة المنكرة وننشر - هنا - ما قالوه بالحرف الواحد فإنه لذنو دلالات موجبة طيبة الأثر.

نص الفتوى

قال السادة العلماء:

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على نبيه محمد وعلى آله وصحبه وبعد، ففي يوم الثلاثاء اليوم الأول من شهر المحرم عام أربع مائة وألف

من الهجرة دعانا نحن الموقعين أدناه جلالة الملك خالد بن عبد العزيز آل سعود فاجتمعنا لدى جلالتة فى مكتبه بالمعذر وأخبرنا أن جماعة فى فجر هذا اليوم بعد صلاة الفجر مباشرة دخلوا فى المسجد الحرام مسلحين وأغلقوا أبواب الحرم وجعلوا عليها حراسا مسلحين منهم، وأعلنوا طلب المبايعة لمن سموه المهدي وبدأوا مبايعته ومنعوا الناس من الخروج، من الحرم وقتلوا من مانعهم وأطلقوا النار على الناس داخل المسجد وأصابوا غيرهم وأنهم لا يزالون يطلقون النار على الناس خارج المسجد واستفتانا فى شأنهم وما يعمل معهم فافقتناهم بأن الواجب دعوتهم إلى الاستسلام ووضع السلاح فإن فعلوا قبل منهم وسجنوا حتى ينظر فى أمرهم شرعاً .. فإن امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض عليهم ولو أدى إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم إلا بذلك لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ﴾ (البقرة: ١٩١) .. ولقول النبي - صلى الله عليه وسلم - (من أتاكم وأمركم جمع يريد أن يفرق جماعتكم ويشق عصاكم فاضربوا عنقه) [رواه أبو مسلم] والآيات والأحاديث فى هذا المعنى كثيرة، ونسأل الله أن يعلى كلمته وينصر دينه وأن يخلد من أراد الإسلام والمسلمين بسوء، وأن يشغله بنفسه بأنه سميع مجيب، اللهم صل وسلم على نبينا محمد وعلى آله وصحبه وسلم.

البيان

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله محمد وآله وصحبه ..
ونسأل الله أن ينصر دينه ويعلى كلمته ويخذل من أراد الإسلام والمسلمين
بسوء وأن يعيذنا من الفتن ما ظهر منها وما بطن، وإن يكبت من أراد
الفساد والإلحاد فى حرم الله وانتهاك حرمة وسفك دماء المسلمين، وبعد
فإن هذا العمل الشنيع الذى قامت به هذه الطائفة الظالمة التى انتهكت
حرمة الله وأقدس بقعة فى أرضه، وسفكت فيه الدم الحرام فى الشهر
الحرام فى البلد الحرام وفى رحاب الكعبة المشرفة وروعت المسلمين
الآمنين فى أمن الله وحرمة .. عمل مخالف لكتاب الله وسنة ورسوله -
صلى الله عليه وسلم - وإجماع الأئمة، ويعتبر منكراً عظيماً وإجراماً
شنيعاً وإلحاداً فى حرم الله الذى قال الله فيه: ﴿ وَمَنْ يُرِذْ فِيهِ يُلْحِدْ بِظُلْمٍ
يُذْفَعُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ ﴾ (الحج: ٢٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ
مَنَعَ مَسَاجِدَ اللَّهِ أَنْ يُذَكَّرَ فِيهَا اسْمُهُ وَسَعَىٰ فِي خَرَابِهَا أُولَٰئِكَ مَا كَانَ لَهُمْ أَنْ
يَدْخُلُوهَا إِلَّا خَائِفِينَ لَهُمْ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ
عَظِيمٌ ﴾ (البقرة: ١١٤) وصح عن رسول الله - صلى الله عليه وسلم - أنه
قال: (إن الله حرم مكة يوم خلق السموات والأرض فهى حرام بحرمة الله
إلى يوم القيامة وأنها لم تحل لأحد قبلى ولا تحل لأحد بعدى، وإنما أحلت
لى ساعة من نهار .. وقد عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس فليبلغ
الشاهد الغائب) متفق عليه .. وهذه الطائفة تجرأت على مخالفة أمر الله
وأمر رسوله - صلى الله عليه وسلم - وإجماع الأئمة ولذلك سأل ولاية
الأمر عن الحكم لمكافحة شر هؤلاء فصدرت الفتوى الشرعية بأن على

ولى الأمر أن يقضى على فتنهم باتخاذ كافة الوسائل، ولو أدى ذلك إلى مقاتلتهم إن لم يندفع شرهم إلا بذلك .. لقول الله تعالى ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عَنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١) وهذه الآية وإن كانت نازلة فى الكفار فإن حكمها شامل لهم ولغيرهم ممن فعل فعلتهم فاستحل القتال فى الحرم بإجماع العلماء، ولقول رسول الله - صلى الله عليه وسلم - (من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم فأضربوا عنقه كائنًا من كان)، وهذا حكم من يدعى أنه المهدي وغيره، وهذه الطائفة أرادت شق عصا المسلمين وتقريق كلمتهم والخروج على إمامهم، فدخلت فى عموم هذا الحديث وغيره من النصوص الشرعية الدالة على معناه وولاية الأمر وفقهم الله لكل خير، مشكورين على ما قاموا به من جهد لإخماد هذه الفتنة والقضاء عليها، فنسأل الله أن يعز بهم الإسلام والمسلمين، وأن يوفقهم لما فيه صلاح العباد والبلاد إنه سميع مجيب، وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم.

أسماء أصحاب الفضيلة العلماء

الشيخ عبد الله بن حميد - الشيخ عبد العزيز بن باز - الشيخ عبد العزيز بن ناصر بن راشد بن رشيد - الشيخ راشد بن صالح بن خنين - الشيخ راشد بن عبد العزيز بن مترك - الشيخ عبد العزيز بن عبد الرحمن الربيعة - الشيخ عبد الرحمن بن محمد ابن فارس - الشيخ ناصر بن حمد الراشد - الشيخ سليمان بن عبد العزيز بن سليمان - الشيخ محمد بن عبد

الله الأمير - الشيخ عبد العزيز بن محمد بن زاحم - الشيخ عبد الله بن
 العزيز بن رشيد - الشيخ محمد بن سليمان البدر - الشيخ محمد بن إبراهيم
 بن جبير - الشيخ صالح بن علي بن غصون - الشيخ غنيم بن مبارك
 الغنيم - الشيخ ناصر بن عبد العزيز الشترى - الشيخ عبد الله بن سليمان
 بن منيع - الشيخ عبد العزيز العيسى - الشيخ إبراهيم بن محمد آل الشيخ
 - الشيخ محمد علوى منكى - الشيخ صالح بن محمد بن لحيدان - الشيخ
 محمد بن سبيل - الشيخ سليمان ابن عبيد - الشيخ عبد الرحمن حمزة
 المرزوقى - الشيخ محمد بن إبراهيم البشر - الشيخ محمد إبراهيم العيسى.

هأنذا قد فرغت - عزيزى القارئ - من أقوال العلماء وفتواهم ومما
 تجدر الإشارة إليه أنهم كانوا أمناء فى بيان حكم الشرع فى الذين قاموا
 بهذه الجريمة " للنكراء " فلم يقطعوا بأمر القتال من أول الأمر، بل جعلوه
 غاية قصوى تتقدم عليه، وسائل أخرى أحقن للدماء، وأحسر للخطر،
 فقالوا:

" بأن الواجب دعوتهم إلى الاستسلام ووضع السلاح فإن فعلوا قبل
 منهم، وسجنوا حتى ينظر فى أمرهم شرعاً - أى ينفذ فيهم حكم القضاء
 المستند إلى دليل شرعى، فإن امتنعوا وجب اتخاذ كافة الوسائل للقبض
 عليهم ولو أدى إلى قتالهم وقتل من لم يحصل القبض عليه منهم ويستسلم
 إلا بذلك، لقول الله تعالى: ﴿ وَلَا تَقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يَقَاتِلُوكُمْ
 فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١)...

وإذا كانت هذه الفتوى قد أوضحت الحكم الشرعى فى جواز قتال
 هؤلاء "البغاة " وإن تحصنوا بالحرم إذا لم يستجيبوا للوسائل الأخرى التى

فيها حقن للدماء، فإن تعليمات ولاية الأمور قد حددت أربعة أهداف يمارس على ضوءها القتال وهي:

تعليمات ولي الأمر

- ١- عدم المساس بقدسية البيت العتيق.
 - ٢- بذل أقصى الجهد للقبض على " البغاة " أحياء.
 - ٣- الحرص الشديد على سلامة الأبرياء المحتجزين داخل المسجد الحرام.
 - ٤- الإقلال من الخسائر في أفراد القوات التي عهد إليها بمهمة تطهير المسجد الحرام.
- وهذه الأهداف - كما ترى - قد جعلت مهمة قوات التطهير صعبة إلى أقصى درجات الصعوبة، تحتاج إلى سعة حكمة، ودقة تدبير في التخطيط والإداء العملي سواء بسواء.
- اما المشكلة المتعلقة بمواقع المعتدين ونوعية أسلحتهم ومدى تأثيرها، ومن أين يبدأ رد الفعل وإلى أين ينتهي، فلا نزاع أن القيادة العسكرية قد أعدت للأمر عدته في ثلاثة أرباع اليوم الأول من الاعتداء، وهانحن أولاء مترقبون لرد الفعل من قبل قوات التطهير، فمتى بدأ، ومن أين، وكيف؟ ذلك ما نراه الآن.

وجاء رد الفعل

فى الساعة الثالثة والنصف - تقريباً - من يوم الثلاثاء غرة المحرم ١٤٠٠ هـ، بدأ رد الفعل عنيفاً قوياً، بدا - فيما علمنا - من فوق رعوس الجبال القريبة من منطقة الحرم، وسرعان ما استحال "السكوت" رعوداً مدوية، أى والله رعود مدوية وصواعق بددت كل استقرار، كما بدأت مقاومة رد الفعل من البغاة أنفسهم، ولكن أسلحتهم كانت قصيرة المدى أمام ذلك السيل الجارف من قوات التطهير، ومع أول طلقة سمعناها من رد الفعل أخذت قلوبنا تحيا من جديد .. ونحن قابعون فى استراحة الفندق .. أعيننا على الحرم، وقلوبنا فيه، استبشرنا أيما استبشار ونحن نسمع دوى رد الفعل الذى كنا نترقبه، وكان " الفندق " الذى نقيم فيه بحسب موقعه تمر من فوقه " فى سمائه " طلقات النار المختلفة المصادر من ردود الفعل الكثيف، كما كان مواجهاً لطلقات النار الصادرة من المعتدين من داخل الحرم الشريف، واستمر رد الفعل على مدى ساعات الأصيل من ذلك اليوم، ولم يتوقف طوال الليل وإن كانت تحدث فترات هدوء قصيرة، وحين غربت الشمس من اليوم الأول أطفئت الأنوار فى الميدان الفسيح المتراعى الأطراف المحيط بالحرم، كما أطفئت الأنوار داخل الحرم نفسه، ويقال إن المعتدين قد قاموا بقطع الأسلاك الكهربائية داخل الحرم بمجرد أن فرغوا من بيانهم وأخذ البيعة لمهديهم تحت دوى الرصاص، ولقطع النورين خارج وداخل الحرم أهداف " استراتيجية "، أما داخل الحرم فلأن المعتدين أرادوا أن يوفرُوا لأفرادهم حرية " الحركة " حتى لا يراهم أحد، وأما

خارج الحرم فلأن المعتدين كانوا يطلقون " النيران " على كل من يرونه من العسكريين.

موقف .. وإخلاص

وما أن كادت الشمس تغرب، وتتعدم الرؤية خارج الحرم حتى شعرنا بحضور " جندي " من قوات الحرس الوطني السعودي الذين يطلق عليهم "الخويان" أو " الخويا " وهو رجل فى متوسط العمر، جاء يحمل سلاحه وأخذ لنفسه موقعا أمام باب الفندق فجلس على كرسى خلف ثلاجة مستطيلة من محتويات الفندق، عينه على الحرم، وسلاحه مصوب تجاهه، لم ينم طيلة الليل، بل ولم يتحرك من مكانه، ولم ينحرف ببصره إلى جهة غير مواجهة الحرم.

وحين حان وقت صلاة الفجر قام مسرعا فتوضأ، وصلى صلاة خفيفة ثم عاد إلى موقعه، كان هذا الجندي " وحيدا " فلم تمر عليه " دوريات تفتيش " ومع هذا فقد أدى واجبه فى بطولة وإخلاص.

كنا نعجب من صبره وإخلاصه لم يغب عن ملاحظتنا لحظة واحدة، فقد طلب منا مدير الفندق أن نعسكر فى استراحة الفندق، فلا نصعد للنوم فى الغرف العليا خشية إصابتنا بضرر، وخاصة أن جميع الغرف تقع تجاه الحرم ونوافذها قبائلته وليس لها " سدادات " إلا من الزجاج والسلك فظللنا بالاستراحة لا صعود ولا خروج منها لا ليل ولا نهار طيلة أيام المحنة، ما عدا مرتين سيأتى ذكرهما فى مناسباتهما .. ظل ذلك الجندي نهاره (الأربعاء) كما ظل ليله، ومع طلوع الشمس من يوم الأربعاء طلب من

مدير الفندق شيئاً يفتأته، وبالشدة الحسرة، فقد كنا مثله فى أشد الحاجة لما يقيم الصلب، حيث لم يتناول أى منا طعاماً طيلة يوم الثلاثاء، إذ لا يوجد من يبيع الطعام فنحن وهو محصورون لا حول ولا قوة لنا .. وعشنا معاً أيام الأربعاء، والخميس، والجمعة والسبت على قليل من التمر بواقع ربع كيلو كل يوم للفرد الواحد من نزلاء الفندق، ولمن يأتى للمراقبة من الجنود، واحداً أو اثنين أو ثلاثة، واستمر رد الفعل يوم الأربعاء وليلته بطولهما، وفى ليلة الخميس ارتفع عدد الجنود .. المراقبين أمام مدخل الفندق إلى ثلاثة رابعهم أميرهم، وقد سرنا منهم أنهم حين يأتى وقت الصلاة يتقدم أحدهم فيصلى بهم إماماً صلاة خفيفة، ثم يعودون لمواقعهم فى سرعة البرق، صورة طيبة للمقاتل المسلم فلا فضل فى جندى يهمل الصلاة مادام قد أتيح له أداؤها.

ساعات حرجات

وفى التاسعة من صباح الخميس " اليوم الثالث للاعتداء " اشتد القصف فوق رعو سنا داخلاً للحرم وخارجاً منه، ولم نكن نسمع شيئاً سوى " القصف والدوى " وتتراقص جدران الفندق من حولنا، ونظن أنها " القاضية " ويأخذ الجميع فى ذكر كلمة " التوحيد " مردداً لها مرات ومرات، بل إن البعض قد جلس على الأرض، مطأطأ برأسه إلى أسفل، متربحاً لسقوط الفندق علينا، مودعاً الحياة بكلمات الشهادتين، أو تالياً قوله تعالى: ﴿ رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْرًا وَبَسِّ أَعْدَانَنَا ﴾ (البقرة: ٢٥) .. ساعة رهيبة، مرت لم نر قبلها مثلاً، وإن كنا قد رأينا بعدها أمثالها، تجمع فى استراحة الفندق

الأسرتان الباكستانية والمغربية، رجالاً ونساء، ونحن نزيراً للفندق المعاران للجامعة، ومدير الفندق ومساعدته، وتحت وطأة الضرب الشديد نسعى أحد الحجاج المغاربة " أحمد بن الحسن " يتلو دعاء وتضرعاً إلى الله رافعاً رأسه إلى السماء ويقول:

" اللهم إنا أعددنا لكل هول لا إله إلا الله، ولكل نعمة الحمد لله، ولكل رخاء الشكر لله، ولكل أعجوبة سبحان الله، ولكل ضيق حسبنا الله، ولكل ذنب استغفر الله، ولكل هم وغم ما شاء الله، ولكل قضاء وقدر توكلت على الله، ولكل مصيبة إنا لله وإنا إليه راجعون، ولكل طاعة ومعصية لا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم " .

يدعو بها مردداً إياها بنبرة صادقة، فإذا توقف طلبنا منه الاستمرار في ترديدها، حتى هدأت العاصفة وأفرغ الله علينا صبراً، وثبت أقدامنا، وما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن.

وهدأت العاصفة، وكان من عجائب القدر أن تسقط (مفرقة) على سطح الملحق الخشبي المجاور للفندق، وفيه كانت تقيم الأسرة الباكستانية كما تقدم، وقد صعد مساعد مدير الفندق على ذلك السطح فأبصرها، وجاء مسرعاً وأخبرنا بالقصة، فصعدنا ونظرنا إليها من بعيد، وطلب بعضنا من مدير الفندق أن يبلغ عنها، ولكنه تحفظ لعدم علمه بطريقة الاتصال، مسلماً الأمر لله، وبعد ثلاثة أيام من سقوطها أخبرنا أحد الجنود فصعد وأبصرها ثم اتصل هو بمن له خبرة بأمر المفرقات، فحضر في نفس اليوم وحملها ولم ندر من أمرها شيئاً، ولكن الله سلم، نعم ولكن الله سلم، فماذا كان

سيحدث لو انفجرت هذه المفرقة على غرف مصنوعة من الخشب مجاورة لمنطقة أهلة بالسكان، صحيح ما شاء الله كان وما لم يشأ لم يكن. استمر القتال من الجانبين يوم الخميس وليلة الجمعة، فكنا نسمع طلقات النار من مصادر مختلفة، ولكن لم نر تلك المصادر، فالبغاة متحصنون بالحرم الشريف، وقوات التطهير تعسكر حسب الخطة التى وضعت لها، ولم نكن نرى إلا أفراد المراقبة الليلية، وهؤلاء لم يطلقوا طلقة واحدة، وربما كانت المهمة الموكولة إليهم هى الانقضااض على من يخرج من البغاة من الحرم، وهذا ما لم يحدث حتى هذه اللحظة.

مرحلة جديدة من القتال

وبطلوع شمس الجمعة الموافق الرابع من المحرم ١٤٠٠ هـ — والثالث والعشرين من نوفمبر سنة ١٩٧٩، دخل القتال فى مرحلة جديدة مغايرة تماماً للمرحلة التى بدأت يوم الثلاثاء بعد الظهر، واستمرت حتى صباح الجمعة، فالمرحلة الأولى يمكن أن نطلق عليها مرحلة القتال من الخارج، ولا شك فإن قوات التطهير كانت قد أحرزت فيها تقدماً لمسنا أثره قوياً واضحاً يوم الجمعة الذى كان بداية لمرحلة جديدة من القتال.

وتتميز هذه المرحلة بأن مطاردة البغاة قد بدأت من داخل الحرم الشريف، فما اشتد ساعد النهار من يوم الجمعة هذا حتى أدركنا أن معارك رهيبة جداً تدور داخل المسجد الحرام وتبلغ الذروة أحياناً فكنا لا نسمع صوت طلقات نارية لكل منها بداية ونهاية، بل نسمع دويّاً مستمراً ليس فيه واحد من المائة، من الثانية " هدنة " دوى عنيف مختلط مستمر حتى ليخيل

إليك أنه من مصدر واحد لا يعرف التوقف، ومع هذه الظاهرة فقد بدت لنا سمة أخرى من سمات القتال في المرحلة الثانية، وهي أنه كان يحدث في جهة معينة من جهات الحرم، ثم يستمر متقدماً إلى جهات أخرى في شكل دائرة يبدأ من نقطة، ويستمر متقدماً فيبتعد عنها وتقل حدة الصوت المسموع لنا .. ثم يعود قوياً شيئاً فشيئاً كلما اقترب من النقطة التي بدأ منها، وهكذا مرات ومرات، واستنتجنا من هذه الظاهرة أن التطهير قد بدأ يتتبع أولئك " البغاة " في مواقعهم التي احتلوا داخل الحرم الشريف، ولكن شيئاً غريباً كان يحدث بين الحين والحين وهو سماعنا لأصوات تقترب من الأبواب من داخل الحرم وتهتف الله أكبر الله أكبر، وكنا نتساءل: أصوات من هذه، هل هي أصوات جنود التطهير تبشرنا بالنصر ؟

أم هي أصوات الأبرياء من المصلين الذين احتجزوا ظلماً وعدواناً فهم يكبرون لأن الله أوشك على أن يجعل لهم من ضيقهم مخرجاً؟ أم هي أصوات "البغاة" إصراراً وعناداً، وكنا نأمل أن لا تكون هذه هي أصواتهم .. ويستوى عندنا بعد ذلك أن تكون أصوات جنود التطهير أم المصلين الأبرياء، فمشاعرنا هي مشاعرهم وأملنا هو أملهم.

كانت هذه المرحلة من أظهر ما سجلته الذاكرة من مراحل القتال، ومن أقواها بعثاً لروح التفاؤل فينا، وما من يوم نستقبله إلا ونحن على وعد مع أنفسنا بأن أبواب الحرم ستفتح فيه.

وليس معنى هذا أن المقاومة من " الخارج " والداخل قد توقفت، فالبغاة ما يزالون يحتلون أماكن تسمح لهم بإطلاق الرصاص حتى خارج الحرم، فضلاً عن الداخل .. وقوات التطهير السعودية كانت تصب نيرانها

من الخارج على أماكن تحصنهم مساندة بذلك الجهود البطولية التي تقوم بها قوات التطهير من الداخل فتلتقى النيران على أمر قد قدر.

وجاءت ليلة السبت ونهاره خاتمة للمرحلة الثانية التي اشترك فيها القتال من "الخارج" مع عمليات التطهير من الداخل فقلت نوعاً ما مقاومة "البغاة" واضطروا لتضييق الخناق عليهم للتخلى عن بعض مواقعهم الحساسة، أو لعمليات هروب كما كان يقال، فمنهم من ارتدى ملابس "حريم" وخرج في ظلام الليل، ومنهم من حاول الهروب سيرا تحت الأرض بوساطة المواسير الضخمة الممتدة من قاع بدروم الحرم إلى بطون الجبال. وهذه المواسير مصنوعة خصيصاً لتصرف المياه عن صحن الحرم لو تعرض لأمطار غزيرة أو سيول، ومن نقل هذه الرواية أردف قائلاً أن قوات الأمن السعودية كانت تضع ذلك في الحساب، ولذا فقد ألقت القبض على ثلاثة عشر منهم حاولوا الهروب عن طريق تلك المواسير، هذه رواية شفوية سمعناها ممن لهم صلة وثيقة بعمليات التطهير .. وقد قوى من صحتها ما نشرته بعض الصحف عن أخذ المسؤولين في الأمن بأن رجال الأمن قد ألقوا القبض على أحد أفراد العصاة بجبل خندمة (١).

استمرت المرحلة الثانية من القتال إلى مغرب شمس السبت الخامس من المحرم، ومع طلائع ليلة السبت بدأت مرحلة ثالثة من القتال اقتربت من النهاية، وقبل أن نتحدث عن هذه المرحلة نثبت للقارئ هنا حديثاً أجرتة صحيفة الرياض يوم الثلاثاء ٢٩ المحرم ١٤٠٠ هـ الموافق ١٨ ديسمبر سنة ١٩٧٩م مع بعض قوات التطهير الذين أصيبوا بأيدي "البغاة"

١- جريدة البلاد (٢٢ المحرم).

وهم يحاولون اقتحام الحرم الشريف لمطارنتهم، وقد أجرت الرياض هذا الحديث معهم وهم يعالجون من إصاباتهم فى أحد المستشفيات.
وإليك نص الحديث:

كان " للرياض " لقاء مع العريف عيد سفر عبد الله العتيبي الذى شارك فى الهجوم يومى الأربعاء والخميس يقول إن إصابته كانت عند زمزم .. وكانت مهمته إيصال المؤن لزملائه المقاتلين عند بئر زمزم وأنه أصيب مع اثنين من زملائه بعد أن نجح فى أداء مهمته وهو فى طريق العودة خارج الحرم الشريف وكانت الطلقة من المنائر وأصيب العريف عبد الله فى فخذه.

زملائي أنقذونى

ويواصل حديثه ويقول: بعد إصابتي من طلقة من إحدى المنائر أسقطت على الأرض .. وجاء زملاء لى من العسكريين ونقلونى إلى الخارج .. وقد حاولت أن أشاهد واحدا من هؤلاء المعتدين المجرمين ولم أستطع لأنهم كانوا متحصنين بشكل جيد ..
وأحمد الله وإن شاء الله إصابتي بسيطة وأنوى العودة للعمل بعد خروجي من المستشفى بالسلامة ..

كنا أول المهاجمين لتطهير الحرم الشريف

وكان (للرياض) لقاء آخر مع الرقيب محمد عايض القحطاني الذي قال لقد دخلنا إلى منطقة الحرم أول ليلة (مساء الثلاثاء) بقيادة الرائد الشهيد المغفور له سليمان الشامان، وحاولنا اقتحام باب السلام ووجدنا مقاومة شديدة من الداخل وكانت مجموعتنا تضم ثلاثين فرداً، وكان المجرمون الأعداء متحصنين وقد فتحوا الباب درفة واحدة وهم يحاولون اصطياذ أى شخص يحاول أن يلقى نظرة داخل المسجد، وكنا نحاول رميهم من بعيد ونتناول معهم إطلاق النار وكان من الصعب الدخول من هذا الباب لكثافة النيران وأصبنا اثنين منهم قبل إصابة أى فرد منا.

بعد إصابة أفرادهم كثفوا نيرانهم من داخل الحرم، ومن المنائر وأصابوا الرائد الشهيد سليمان الشامان وزميلى العريف محمد مهدى الحمدي وأنا وجلسنا حوالى الساعة فى هذا الموقع قبل إصابتنا وأضيئت بالأنوار فجراً، ثم أطفئت الأنوار وانتقلنا إلى موقع آخر لإنقاذ الزملاء المصابين ولحقّت بنا تعزيزات، وعندما جاءت إصاباتنا وأصبت فى ركبتي برصاصة، ومشيت عليها بعض الوقت ثم جلست وأطلقوا على رصاصة ثانية أصابتنى فى الفخذ الأيسر واخترقته.

رفضت الخروج من المعركة خوفاً على زملائي

وبضيف العريف محمد عايض القحطاني، لقد حاول زملائي نقلني ولكنني رفضت لأن المجرمين سيقتصونهم فرداً فرداً وأخذت أرحف لوحدي حتى وجدت الرائد سليمان وقد أصيب للمرة الثانية، وأعتقد أن قنبلة من القنابل التي كان يحملها قد أصابتها طلقة فانفجرت به، وكانت إصابته الأولى في وجهه، وقد رأيته شهيداً قد لقي وجه ربه وحمل معه الشهادة ووسام البطولة وفداء الدين والوطن.

ولم أكن أستطيع الحراك ولم تحركت لرموني، ولحظتها أنيرت الإضاءة وشاهدتهم في المنائر، وهناك مكان زملائي وأستطيع أن أصل إليه ولكن بصعوبة فقفزت مخاطراً فشاهدوني أقفز وأمطروا المنطقة بنيرانهم ووصلت إلى زملائي وجلسنا حوالي اثنتي عشر ساعة، وأنا وعدد من الزملاء معزولون عن القوات الأخرى وانقطع الاتصال معهم.

ثلاثة من المواطنين الأبطال أنقذونا

أثناء حصارنا كان المجرمون لا يقتلون المدنيين في أول الأيام وكان بإمكانهم التنقل حول الحرم .. وكان ثلاثة من المواطنين من أبناء مكة المكرمة الطاهرة كانوا يقومون بخدمة الجرحى من جنودنا البواسل كانوا ينقلونهم إلى المستشفيات أو إلى مراكز الإسعاف.

لقد أحضروا لى ولزملائى ملابس مدنية من منزلهم القريب من موقعنا، وأحضروا نقالات حملونا عليها أنا وزمىلى محمد مهدى وأوصلونا إلى الإسعاف واتجهنا للمستشفى .. وعاد المواطنون الثلاثة لنقل عدد من الجرحى أيضا .. وأنقذوا أربعة مصابين من زملائنا .. وأنا الآن أقدم شكرى وتقديرى واعتزازى بهؤلاء المواطنين الثلاثة من أبناء مكة الذين ضربوا أروع مثل فى التضحية والفداء، ومد يد العون لنا، لقد قاموا بواجبهم رغم الخطر الداهم لهم .. لقد أنقذونا وقدموا خدمة لن ننساها، وأتمنى من الله أن يجمعنى بهم، وأرجو أن يسمعوا ندائى هذا وأن أسمع صوتهم، وأن أتعرف عليهم لأن وضعى لم يسمح لى لحظتها بسؤالهم عن أسمائهم وأخبرهم أننى بخير، وهذا بفضل الله ثم بفضلهم.

لا نسمع إلا أصوات الرصاص

فى اليومين الأولين اختفى صوت الأذان من المسجد الحرام والتهليل والتكبير ولم نعد نسمع إلا صوت الرصاص يطلق فى كل مكان من هذه الطغمة خارج الحرم كنا نتبادل إطلاق النار مع الطغاة وحاولنا دخول الحرم كانت الأبواب مغلقة .. وأصببت أثناء تلك المحاولات خارج الحرم ولم أتشرف، بالدخول للحرم للمشاركة فى تطهيره، ولم أشاهد أحداً من تلك الزمرة إلا واحداً كان يحاول قنص زملاء لنا من النافذة .. وقمنا برمايته واختفى .. وأنا أصابتنى طلقة نارية ونقلت إلى المستشفى فوراً.

أصبت مرتين وآلمنى منظر المشوهين

ويقول العريف مرزوق عبيد العتيبي: شاركت منذ اليوم الأول واستمررت لمدة أربعة أيام وأنا أشارك .. هجمنا يوم الثلاثاء الساعة ٤,٣٠ عصراً ووجدنا الأبواب مغلقة، وانتظرنا وعللنا محاولات عند باب الملك عبد العزيز ولكن المجرمين كانوا يطلقون النار بكثافة بالغة وذهبنا للاستراحة وعدنا الساعة ١٢ ليلاً، وفى اليوم الأول أصبت بركبتى إصابة خفيفة، وفى اليوم الثانى هجمنا من جهة سوق الليل .. ثم بعد اقتحام الحرم من الأبواب دخلنا ووجدناهم قد قتلوا العديد، واستشهد منا نقيب فى المرور والعريف البطل حامد مسفر ويوم السبت أصبت للمرة الثانية من طلقة نارية فى ركبتي وكانت مهمتنا ذلك اليوم تطهير المسعى وأصبت فور دخولى، وقد تأثرت لمنظر الموتى المشوهين ووجوههم المحروقة من اليوم الأول والثانى، ولم نكن نشاهد من أفراد هذه الزمرة للباغية أحداً لأنهم كانوا متمركزين، وكنا نسمع صوت الرصاص، ولا يطلقونه إلا على الأفراد العسكريين.

والدى كان يتابعنى فى مكة وزارنى هنا ..

يوصل العريف مرزوق عبيد العتيبي حديثه " للرياض "، ويقول: إن والدى كان يدعو لى بالتوفيق ويتابعنى وأنا فى مكة، وكان يشجعنى وقد زارنى فى المستشفى بعد إصابتي وحمد الله وشكره على سلامتى .. وكان يقول إن هذا جزء من واجبك يا ولدى ولن يصيب ابن آدم إلا ما كتب الله له.

نتمنى أن نكون فى القدس:

وحول المكرمة الملكية قال: إنه شئ عظيم ولا تهمنا الماديات بقدر ما لمسنا عطف ولاية أمورنا وقادتنا وأبناء شعبنا، لقد كان لهذه المكرمة عظيم الأثر والامتنان، ونرجو من الله أن نكون فى المرة القادمة فى القدس الشريف لتحقيق أمنية كل المسلمين وفى مقدمتهم الفيصل الشهيد وخالد العظيم وفهد الأمين وكل مسلم.

إن أقوال هؤلاء الجنود، وهم من طليعة من حاولوا اقتحام الحرم بعد أن تحصن فيه " البغاة " وحرموه على الناس، لتدل دلالة واضحة من الأعماق على مدى التيقظ الذى بدأ به " المعتدون " المقاومة التى استهدفت تطهير المسجد الحرام منهم، وإلى أى حد كانت الصعوبات تعترض قوات التطهير.

كما تبين هذه الأقوال نقطة الشباب فى الالتفاف حول الجنود، والأخذ بيد من يصاب منهم.

المرحلة الثالثة

رجاء دور الحديث عن المرحلة الثالثة من القتال، والتى بدأت مع مغرب شمس يوم السبت الخامس من المحرم والخامس للاعتداء الأثيم والواقع أن هذه المرحلة كانت " ثمرة " المرحلتين السابقتين: مرحلة القذف من الخارج. ثم مرحلة انتقال القتال إلى الداخل مع استمرار القذف الخارجى أحياناً. كما أن المرحلة الثانية وهى مرحلة انتقال المطاردة إلى داخل الحرم الشريف كانت ثمرة المرحلة الأولى من القتال، وهى القذف

البركانى من الخارج، فكل مرحلة إذن كانت تسلم للتى تليها، وهذا معناه أن قوات التطهير كانت تحقق نجاحاً مطرداً فى إصابة أهدافها، وإن تخلل ذلك بطء فإن سببه طبيعة الظروف التى باشرت فيها مهماتها، والأهداف التى حددتها القيادة السياسية العليا من المحافظة على قدسية الحرم الشريف وعدم المساس بأرواح الأبرياء المحتجزين داخل المسجد، ثم محاولة القبض على المعتدين أحياء ما كان ذلك ممكناً، ثم التقليل من الخسائر فى أفراد قوات التطهير.

فإذا أضفنا إلى هذه العوامل عامل البيئة التى صارت ميداناً لنيران كثيفة، وهى بيئة تمثل قلب الحياة فى مكة المكرمة بكل ما تحمل هذه الكلمة من معان، وضح لنا السر وراء البطء فى الوصول إلى " الغاية " وهى تطهير البيت الحرام فى زمن قصير، والقتال فى مثل هذه الظروف يحتاج مهارة ودراية وصبراً، وإلا فإن مراعاة تلك الأهداف التى اشترطت المحافظة عليها تكون أمراً مستحيل الوقوع!

بدأت طلّات المرحلة الثالثة من القتال كما تقدم مع غروب شمس السبت، وكان يتقدم موكب تلك الطلائع ظاهرة لمسناها بعد غروب الشمس بقليل، فقد أضيئت الأنوار فى الميادين والشوارع المحيطة بالحرم، كما أضيئت بعض أجزاء من المسجد، حدث هذا ونحن جلوس فى فناء الفندق ننظر بقلوبنا من شدة الإحساس أكثر مما نشاهد بإبصارنا، وإذا كان النور دائماً مفرحاً، فإن لإضاءة الأنوار لدينا فى تلك الليلة معنى عميقاً للملابسات الآتية:

أولاً: إنه استمر أربع ليال مطفاً، وهذا معناه أن المعتدين ما يزالون يتحكمون فى الموقف.

ثانياً: إن الظلام أضفى على المنطقة جواً غريباً، بل ومخيفاً، إذ لم يعهد الناس أن تلك المنطقة التي كانت زاخرة بالحياة ليلها كنهارها حساً ومعنى، لم يعهد الناس فيها إظلاماً ولا شبه إظلام.

ثالثاً: إن إطفاء الأنوار كان يعنى أن المسجد الحرام ما يزال أسيراً يتحكم فيه بغاة معتدون لم يرعوا الله حرمة، ولا للناس عهداً ولا ذمة لهذا كانت عودة " النور " إلى تلك الساحة بشير خير منح الطمأنينة لقلوبنا، والإبصار لأبصارنا، وأخذت-والله- تجرى فى عروقنا دماء جديدة، بل تتدفق تدفقاً، فيا لفرحتنا ويا لجلال تفاؤلنا فى تلك الليلة الخالدة التى لن ننساها ما حيينا.

ليلة البشريات

ظلت الأنوار مضاءة، وظلت عيوننا ترقب تلك الساحة الفسيحة، ما الذى سيحدث فيها بعد طلائع النور والبشرى، مرت ساعة، ثم جزء من الساعة، وفجأة ظهرت أمامنا كتائب التحرير من رجال الحرس الوطنى، ولكن فى هذه المرة يختلفون عن المرات السابقة التى أشرنا إليها من قبل. ففيها كانوا واحداً أو اثنين أو ثلاثة، لا يظهرون إلا ليلاً وتحت حماية الظلام، ووراء الجدران والسواتر.

أما فى هذه المرة فقد ظهروا بكثرة .. وتحت الأضواء الهائلة إذ أحالت " لأنوار " ليل تلك الساحة إلى " نهار وصفاء " ثم أخذوا مواقعهم حسب الخطة الموضوعة لهم من قيادتهم العسكرية والإدارية، أعينهم على الحرم الشريف، وأسلحتهم مصوبة فى تجاه المسجد، وبعضهم أخذ وضع

استعداد فاستلقى على الأرض ويده على زناد سلاحه، وسلاحه على مرتفع من الأرض، وكادت فرحتنا بالنصر تبلغ مداها، فمنذ قليل كانت هذه المنطقة محرمة على العسكريين وغير العسكريين، حتى الحمام " حمام الحمى " ذلك الذى كان يملأ الأفق " الحرمى " ويرتع ويمرح حوله مختلطاً بالرائحين والغادين، ألفهم وألفوه، حتى ذاك " الحمام " كان قد هجر تلك المنطقة تماماً، بعد أن ظل اليومين الأولين من الاعتداء: الثلاثاء والأربعاء محتلاً لمواقعه حول المسجد يفرع فيطير إذا سمع تلك الأصوات المربعة من طلقات النيران، ويأمن فيهبط إذا هدا دويها ؟..

ولما تكرر ترويعه وتخويفه اتخذ قراراً بالجلء عن المنطقة عسكر ذلك " الحمام " فوق أسطح المنازل والفنادق البعيدة نوعاً ما عن مصادر الخطر .

بعد هذا كله فإن افتراش الجنود أرض الساحة عياناً جهاراً كان معناه عميقاً جداً فى النفوس، حبيباً جداً إلى القلوب، ومؤذناً بأن " فك أسر المسجد الحرام " قد حان.

وتتتابع البشريات فى تلك الليلة فسرعان ما امتلأت المنطقة بالسيارات الرسمية " ناقلات جنود - سيارات نجدة - سيارات إسعاف - عربات مصفحة - دبابات - حاملات مدفعية - سيارات تموين - سيارات بلدية - هكذا والله تتابعت هذه البشريات حتى لم تمر ساعة واحدة - تقريباً - بعد ظهور رجال الحرس الوطنى حتى عجت الساحة بالحركة وتحولت إلى قلعة حصينة ما يقع تحت نظرنا منها ونحن ننظر من استراحة الفندق، شىء رهيب رهيب، فما بالك بامتداد الساحة حول المسجد الحرام كله، وما أعظم امتداد تلك الساحة رعاها الله وحفظها من كل سوء أبد الدهر .. ثم

أخذ بعض قواد الفرق يعتقدون اجتماعات سريعة بفرقهم، ثم تتجول عربية يبدو أن بها مسئولاً كبيراً، وقد كنا نستنتج ذلك من نوعية الاستقبال وخاصة إذا كان الاستقبال يقوم به عسكريون.

بدأنا نحن ننتفس الصعداء، فهامى ذى الساحة قد عادت إليها الحياة، وهى وإن كانت حياة من نوع خاص فإنها بشيرة بالحياة " الطبيعية " الوادعة والعسر دائماً يعقبه يسر.

أطعمنا من جوع

ومع هذه البشريات انحلت مشكلة معقدة بالغة التعقيد بالنسبة لنا نحن نزلاء الفندق، فقد مرت علينا الأيام الخمسة الماضية: من صباح الثلاثاء الأول من المحرم - بدء الاعتداء - إلى ليلة الأحد التى نتحدث الآن عنها، ونحن لم ننق طعاماً قط. إذ كنا نعيش على الأسويين التمر والماء ولا شئ غيرهما، فالمنطقة التى تحيط بنا ليس فيها شئ يباع قط. فقد أصبحت منطقة فقراء، وهى أشد ما تكون خصوبة، وغابت عنها الحياة، وهى أقوى ما تكون حياة، وقد تمثلت آنذاك قول الشاعر القديم:

كان لم يكن بين الحجون إلى الصفا أنيس، ولم يسمر بمكة سامر
...
الشاعر يشكو حالة عابرة مرت به، وما كان يدريه أن حالتنا نحن أحق بشعره هذا من حالته تلك والتى أوحى له بأن يقول ما قال.

هذا هو شأن المنطقة المحيطة بنا .. أما المناطق التى تليها فعلى الرغم من وجود ما يباع ويشتري فيها فإن محاولة اختراق حزام الخطر

إليها كان خطراً، فالسير فى الشارع محظور، وقد حاول مساعد مدير الفندق أن يخترق ذلك الحزام عن طريق سطح عمارة مجاورة للفندق كان يقيم بها " مجاورون مغاربة " من طلاب العلم، ولما أحسوا به يتدلى من سطح عمارتهم أمسكو به وأصروا على أن يقدموه للشرطة على أنه " لص"، لولا أن تدخل الله بلطفه وتدبيره فاطعمنا من جوع وآمنا من خوف. والحق يقال إن الإحساس بالجوع لم يعرف - والله - طريقه إلى نفوسنا، فالأحداث العامة كانت أكبر من كل الانفعالات، وفى الماء والتمر من بركة الله ما يقوتنا شهراً وشهرين أسوة برسول الله - صلى الله عليه وسلم -.

الأمير .. والتفاح

أقول: انحلت تلك المشكلة، لأن مجرد احتلال القوات السعودية للمنطقة نواكبت عليهم عربات التموين، فظهرت صناديق كبيرة مملوءة بالتفاح " الممتاز " منذ اللحظة الأولى يعد حلول القوات، والأفراد الذين كانوا يترددون على الفندق فى ساعات " العسرة " وكانوا يعرفون قصتنا، لم ينسونا قط فذهب أحدهم إلى " الأمير " وقص عليه قصتنا فآذن له الأمير بإعطائنا صندوقاً كاملاً .. ووعدنا بأن كل مدد تموينى سيأتى لهم سيكون لنا فيه نصيب معلوم.

وقد صدق .. فمئذ تلك الليلة أصبحنا نحن نزلاء الفندق يأتينا تمويننا مع تموين القوات: إفطاراً - وغداء - وعشاء، وبكميات وفيرة تسمى

وتغنى من جوع، وظل هذا النظام إلى أن انتهت الأزمة وعادت الحياة إلى مجراها المعهود، بل إن بعض متطلبات الحياة الأخرى كان الجنود يقومون بشرائها للنزلاء حتى لا يتعرض نزول إذا هو غادر الفندق إلى متجر إلى الخطر أو المساعلة .. روح طيبة أبدوها نسجلها لهم فى صدق ونزاهة.

ولم نكد ننام تلك الليلة أملاً فى غد مشرق، وصبح بسلام، وليس أدعى إلى بقطة الروح من بشرىات النصر الكبرى التى داعبت النفوس، واهتزت لها كل القلوب.

وليس معنى هذا ان ليلة الأحد خلت من طلقات النار، لا والله بل كان هناك دوى ودوى، وخلاصة ما حققته قوات التطهير حتى هذه الليلة هو:

١- كسر شوكة المعتدين، وحصر شرهم فى حدود ضيقة.

٢- إعادة السيطرة على الدور الأول والثانى من المسجد الحرام وطرده المعتدين منهما.

٣- إعادة السيطرة على المنطقة المحيطة بالحرم وكفالة حرية التحرك فيها بالنسبة للرجال العسكريين.

فرق مختلفة .. هدفها واحد

وجاء صباح الأحد - اليوم السادس للاعتداء - وفتحنا أعيننا مع تفتح ضوء الشمس على الكون، فكان الذى يدور فى الساحة هو الآتى:

• رجال الحرس الوطنى مرابطون فى مواقعهم التى حددت لهم وهم مختارون من " البدو " لما يعرفون به من الإخلاص فى أداء الواجب وتقدير معنى الأمانة، وكنت تراهم متفاوتين فى الأعمار،

فمنهم الشيوخ المخضرمون، ومنهم الكهول الناضجون ومنهم الشباب الغض، وكلهم عرفوا بالحرص الشديد على احترام المسؤولية.

- مجموعات من رجال الجيش تنتشر هنا وهناك، وكان الفرق واضحاً من "النوعين" فجنود الحرس الوطنى يرتدون " الجلباب الكاكي " مع لف خزينة السلاح حول وسطه، ويغطى رأسه بالغترة الحمراء التى تخلل لونها الأحمر نقط بيضاء كأنها نجوم لامعة فى سماء من عقيق.

أما رجال الجيش فيرتدون الزى الذى يرتديه رجال الجيش غالباً فى كل مكان من العالم: " البنطلون، والسترة، والبوريه على الرأس، ويحمل فى يده سلاحه المناسب: مدفعاً رشاشاً أو مسدساً أو هما معاً، أو تراه يسير وليس معه سلاح ظاهر للعيان.

- مجموعة من القوات الخاصة، وهى قليلة العدد بالنسبة للنوعين المذكورين " إنهم جماعات مختلفة " ولكن الهدف واحد.

- وظهرت بكثرة مجموعات من " عمال النظافة " بزيهم الأصفر، وكانوا يقومون بمجهود عنيف فى نظافة المنطقة خارج الحرم لم يتوقف أحد منهم لحظة، ودخلت مجموعات منهم إلى صحن الحرم نفسه بعد أن تم افتتاح أبواب الملك عبد العزيز، ولم يقتصر الوضع على تنظيف المنطقة مرة واحدة فى اليوم الواحد، بل كانت العمليات مستمرة ليلاً ونهاراً.

• سيارات تابعة للصحة كانت تجوب المنطقة بين الحين والحين وترش الغازات المطهرة بكميات ضخمة حتى لتظن أن موجة كثيفة من الضباب قد خيمت على الكون فحجبت الرؤية، وكان بعض عمال الصحة يحملون أنابيب لرش الغاز فى الأماكن المجاورة البعيدة عن الساحة، وظل الأمر كذلك حتى نهاية المأساة.

• ونشطت سيارات تابعة لنظام المرور تظهر المنطقة من السيارات التى هجرها أصحابها بعد الحادث، أو تعطلت بأيدي المعتدين، أو كانت تابعة لهم حضروا بها فجر الاعتداء ثم تركوها وكثيراً ما رأينا سيارات "الأوناش" قد علقت مقدم " السيارة " فى طرف " الونش " ثم سحبتها خلفها وهى تجرى كأنها الريح، وكانت تقف بجوار الفندق الذى تقيم فيه "سيارة" منذ يوم الحادث وحتى جاء الدور عليها لتسحب، راعى من قائد سيارة الونش دخوله علينا الفندق وسأله إيانا هل السيارة التى تقف هنا تابعة لأحد منكم، فأجابه مدير الفندق بالنفى .. وبعدها خرج وسحب السيارة مادام قد تأكد أنها مجهولة المالك.

• وظهر فى الساحة رجال منديون يلبسون " الجلباب " الأبيض والفترة الحمراء أو البيضاء على الرأس مصحوبة بالعقال حيناً ومنفردة حيناً آخر، وهم كما قيل لنا إما من رجال المخابرات أو مدنيين لهم مهام وظيفية يؤدونها فى الساحة المحرمة.

• وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كانت المنطقة معرضاً لحركة من النشاط المختلف المصدر المتحد الغاية، ولو سجلت تلك الأعمال في فيلم تليفزيوني لما زهد أحد في الدنيا في مشاهدته المرة تلو الأخرى.

• هذا ولا ننسى صورة أخرى من النشاط وهي سيارات التموين التي كانت تظهر ثلاث مرات في اليوم: المرة الأولى في الصباح لتوزيع وجبة الإفطار، ويبدو أن الذي كان يقوم بإعداده شركة الطيران السعودية إذ هو صورة طبق الأصل من الوجبة " الخفيفة " التي تقدمها شركة الطيران السعودية لضيوفها في الجو، فهي عبارة عن علبة مغلقة بغلاف شفاف محكم ومحتوياتها: رغيف خبز صغير، قطعاً لحم بوفتيك مع قليل من الصلصة، كوب ورقى مقوى به مقدار من سلطة الطحينة، باكوزيدة صغير، ثمرة واحدة من ثمرات التفاح، أما الغداء فكان الغالب هو "الكبسة" وهي وجبة مشهورة جداً في السعودية، وتتكون من الأرز المقلل المضاف إليه قليل من الصلصة، ثم الفراخ المشوية واسمه المشهور هنا هو "الدجاج" ومعه بعض الفواكه كذلك.

أما العشاء فقد يكون كالإفطار تماماً، أو يتكون من الفول المدمس المعروف، وقد أشرت من قبل إلى أننا - أعني نزلاء الفندق قد انتظم تمويننا من الوجبات الغذائية كانتظامه لأفراد القوات سواء بسواء حتى انكشفت الغمة، وما نزال نحس بالمشاعر الطيبة التي عشناها في تلك الأيام من الخلق الإسلامي الودود الذي لمسنا أثره قولا وفعلًا.

وقفة مع البيت العتيق

أما وصف الحال الذى كان عليها الحرم الشريف من الداخل فقد تم حتى هذه اللحظة - الأحد السادس من المحرم - تطهير الدورين الأول والثانى من الحرم، كما تم تطهير صحن الحرم واضطر البغاة المعتدون إلى النزول إلى " قبر الحرم " السفلى فتحصنوا به مع بقاء بعض نقطهم القوية بالمأذن، وخاصة المئذنتين الواقعتين بجوار أبواب الملك عبد العزيز، إذ مازالت تلك النقطة تقام بشراسة ورعونة، وقد تعرضت تلك المئذنتان لموجات من المد والجزر العنيف من كلا الجانبين، وبلغ القتال عندهما مداه، فكانت النيران تصب فيهما صبا من قوات التطهير من الخارج، وكانت الطلقات تتبعث منها من البغاة المعتدين طيلة ضحى الأحد، وما رأيت - على كثرة ما رأيت - قتالا عنيفا دار حول موقع من مواقع الحرم، كما دار حول هاتين المئذنتين، وهنا أعود فأذكرك بما سبقت الإشارة إليه من حديث تلك المرأة التى ظلت تتحدث من منتصف ليلة الاعتداء إلى إشراقة فجره، تتحدث لغير سامع، وبلغت لم أفهمها وهى تجلس وحيدة على الرصيف المنصف للشارع المجاور للحرم الشريف من جهة أبواب الوداع والهجرة وأم هانى وأبى بكر، وكانت فى جلستها تلك تركز نظرها بشدة على تينك المئذنتين، فهل كانت تلك المرأة تنتظر لتلك الأحداث التى دارت - حول تينك المئذنتين الشامختين .. ؟! نعم إن الغيب لا يعلمه إلا الله ولكن حين يقوى إيمان المؤمن فإن قوة إيمانه تكسبه فراسة ينظر بها بنور الله، ومع هذا فإن حديثها سيظل لغزا لا يعلم سره إلا علام

الغيبوب، أما نحن فما ظن إلا ظناً، وما شهدنا إلا بما علمنا، وما كنا للغيب حافظين.

قوات التطهير تندر

وكانت القيادة العسكرية قد بدأت ضحى الأحد بنداء وجهته إلى عصابة المعتدين وهذه هي صيغته:

• إلى جميع من بالسرداب - يعنى قبو الحرم - نحذركم حفاظاً على أرواحكم واستمراراً لبقائكم: " أن ترفعوا أيديكم، وتلقوا أسلحتكم مستسلمين، وإلا فلدينا ما يجبركم عليه بالقوة، فعليكم بالاستسلام فوراً، والتوجه إلى صحن الحرم الشريف ومن استسلم منكم فله الأمان، هذا ما ندعوكم إليه والله ولى التوفيق ".

كان هذا النداء يردده رجال عسكريون بواسطة مكبرات الصوت، وهم يسرون بسيارات " جيب " صغيرة حول الحرم، يبدأ النداء من موقع، ثم يدول حول الحرم كله حتى يعود إلى الموقع الذى بدا منه، ثم يستأنف دورة جديدة، وكان عدد غير قليل من رجال القوات السعودية يقوم بإبلاغ هذا النداء فى سرب من السيارات الواحدة وراء الأخرى، ولكثرة ما تكرر هذا النداء فقد حفظت صيغته عن طريق السماع، وظل محفوظاً عندي حتى سجلته فى هذه المذكرات بعد وقوعه بشهرين كاملين حيث لم يسبق فى تدوينه فى غير الذاكرة قط.

ويبدو أن القوات قد سلكت هذا المسلك استجابة لتعليمات القيادة السياسية العليا التي قد أشرنا إليها من قبل، ومنها محاولة القبض على المعتدين أحياء.

وأيًا كان الباعث فقد أعطى هذا النداء للمعتدين فرصتهم. ولكنهم رفضوها .. لأننا لم نر واحداً منهم قد استجاب لهذا النداء ساعة صدوره، وإن تردد فيما بعد أن مجموعة منهم، قد استسلموا .. صحيح أن هناك عمليات استسلام وقعت أمام أعيننا، ولكن لم تقع يوم الأحد، بل بعده وسوف نشير إليها في حينها.

مقدوفة كأنها الزلزال

ولما لم يستجب المعتدون للاستسلام واصلت قوات التطهير مهمتها، وركزت على تصفية " الجيب " المرابط بالمتذنتين المجاورتين لأبواب الملك عبد العزيز، واشتد القتال إلى درجة كبيرة بعد الثامنة من ليلة الاثنين السابع من المحرم، وأخذت القذائف تأتي من الخارج لتصب في المتذنتين بواسطة المنافذ التي فيهما، وبدأ " الجيب " المراد تصفيته يقاوم بعنف وعلا دور النار علوا كبيرا وقبيل التاسعة بقليل انفجرت مقدوفة نارية ضخمة جداً شاهدنا لهبها يفتح علينا مدخل الفندق، ثم حدث ما يشبه الزلزال الشديد، فترتعش جدران الفندق ويتساقط زجاج نوافذه بعد أن أحدث موجة من الصوت المتتابع كان مرقصا أخذ كل من فيه يرقص ويدق بالصنجات، بل إن زجاج الغرف الداخلية تساقط وأخذ يتناثر فوق رؤوسنا ونحن جلوس، بل وقد أصاب بعضنا ولكن بإصابات طفيفة، وتجمعنا في فناء

الفندق حتى الحاجات المغربية والباكستانيتان هرعن إلى الفناء، وظللن الليل كله به، النساء ينمن فى موضع، ونحن الرجال فى موضع آخر من نفس الفناء، وليس هناك من سائر سوى سائر الإيمان وتقوى القلوب وصدق الشاعر الذى يقول:

إن المصائب يجمعن المصابينا

تتأثر الزجاج على الأرض فأصبح السير فيها خطراً، ولو سرت فيها منتعلاً، وقطعت حرارة التليفون، كما قطعت الطاقة الكهربائية وتبع ذلك توقع انقطاع المياه عن الفندق، لأنه لا يجرى فى " الصنابير " إلا بعد رفعه من الخزان الأرضى بواسطة " الموتور " وهل يعمل موتور بدون كهرباء، ومن تلك اللحظة أصدر مدير الفندق إرشاداته بأن لا يستعمل الماء الموجود بالخزان العلوى إلا فى شئون " الطهارة " والوضوء، والشراب، وإلا تعرضنا لأزمة، لأن الماء المخزون - فعلاً - قليل الموض .. ١٢

عُزلة مُحكمة

ولكل من هذه المرافق التى تعطلت مشكلة، تترتب عليها، فالتليفون كان لا يتوقف عن الرنين والطالبون يعرفون موقع الفندق من الحرم فكانوا يتصلون بمديره من كل مكان للاطمئنان على الحرم الشريف، من جدة، والمدينة المنورة، وبريدة، والطائف .. إلخ .. والجنود كانوا يطلبون عن طريقه أسرهم فيطمئنونهم عن الحرم وعن أنفسهم ويبشرونهم بالنصر، وبسكوت التليفون زادت عزلتنا إحكاماً، وسكت من حولنا كل شيء.

وأما الماء فالله تعالى قال: ﴿ وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ ﴾ (الأنبياء: ٣٠) وهل يستغنى مسلم حى عن الماء فيهمل العبادة الواجبة عليه، ويقتله الظماً ..؟

بتنا تلك الليلة - ليلة الاثنين السابع من المحرم ما بين نوم متقطع، وسهر غالب، وراعنا فى فجر يوم الاثنين أن المرابطين فى المنطقة المحيطة بالحرم يقوم أحدهم فيؤذن أذان الفجر، ويؤم رفاقه وهم فى ساحة القتال، والعدو ما يزال مستمراً فى عمليات المقاومة، ولم يقتصر الأذان على فجر يوم الاثنين ولا على الصلاة جماعة فى الساحة المكشوفة، بل ظل هذا النظام مستمراً حتى آخر يوم من الأزمة، إذا حضرت الصلاة أذن مؤذن، ثم وقف إماماً ووراءه الجنود يصلون مأمومين، وكانت فى بعض الأحيان طلقات النار تتدوى فوق الرعوس، ولكن دويها لم يمنع الجنود من الأذان للصلاة وأدائها جماعة على مرأى ومسمع - ربما - حتى من العدو.

صورة طيبة كانت تغمرنى بالسرور فلا خير فى جيش يهمل العبادة ولا نصر على يديه، فما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم وهو مشروط بشروط:

• أن يهبه الله للمؤمن: ﴿ وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ ﴾ (الروم: ٤٧).

• وإن يكون ذلك المؤمن ناصراً لله: ﴿ وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾ (الحج: ٤٠).

ونصر الله لا يكون إلا بطاعته، والجهاد من أجله، وإن فى ذلك درساً مفيداً يحتذى، فالمحافظة على الصلاة مطلوبة شرعاً ولو فى ميدان

القتال لقوله تعالى مخاطباً رسوله الكريم: ﴿ وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِنْ وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَذَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُمْ مَيْلَةً وَاحِدَةً .. ﴾ (النساء: ١٠٢)

الإسلام لم يكتف بأن يطالب الجنود بأداء الصلاة - مطلق أداء - وهم رباط في الميدان، بل حثهم على أدائها جماعة على الكيفية المفصلة في كتب الفقه والتفسير .

ويروى أن عمر بن الخطاب - رضى الله تعالى عنه - بعث إلى عمرو بن العاص بقوله: " أمر جنك بأداء الصلاة .. وكان عمرو بن العاص قد بعث إليه برسالة يشكو له فيها استبطاء النصر وهو في حروبه مع الروم في مصر ومن قبلها فلسطين والشام، ولما أنفذ عمرو بن العاص وصية عمر بن الخطاب جاء نصر الله والفتح.

أشرقت شمس يوم الاثنين السابع من المحرم، وكنا مكلفين بالذهاب إلى الجامعة .. ولكن كيف يكون الخروج من الحصر الذى نحن فيه، أدينا رغبتنا إلى أحد الجنود فصحبنا إلى " أمير " الفرقة التى ترابط بجوار الفندق، فعرفناه بموضوعنا وبعد الاطلاع على بطاقتى الإقامة قال: لا مانع عندي .. ثم نظر إلى أحدهما وكان مصاباً إصابة طفيفة أثرها ظاهر فى وجهه، وخشى أن تشبه فيه بقية " نقط المراقبة " الممتدة على الطريق .. ولكننا اعتمدنا على الله وأخذنا نجوب الطريق وسط أعداد هائلة من الجنود، وكلما مررنا على نقطة مراقبة استوقفتنا واستوقفت منا واطلعت

على محتويات حقيبتي أيدينا، وقد اخترقنا حاجز الرقابة حتى وصلنا إلى المكان المسموح فيه بمرور السيارات، ويطلق على ذلك المكان اسم " الحفائر " ولم نعد للمبيت بالفندق ليلة الثلاثاء، فقد أمسك بنا زميل مصرى معار مثلنا لنفس جامعة الملك عبد العزيز، وكان يقيم فى منطقة نائية عن الأحداث، وأصر الزميل على البيات عنده حتى تزول الغمة، أو نحصل على سكن مريح ولكننا لم نجبه إلا لبيات ليلة واحدة، قائلين له إن الأوضاع قد هدأت فلا داعى للقلق.

وقبيل الظهر من يوم الثلاثاء الثامن من المحرم عزمت على العودة للفندق الذى أقيم فيه وسط الأحداث، فأشرت إلى سيارة أجرة، وسألنى السائق أين تبغى؟

قلت: الحرم.

قال: لا " ممنوع، فاستدركت قائلاً: وصلنى إلى أقرب مكان منه مسموح الوصول إليه، فوافق، وكان المفروض حسب خط السير أن يسير فى الاتجاه " الطوالى " ولكنه سلك طريقاً جانبياً لعدم السماح بالاتجاه الطوالى، وفجأة توقف وطلب منى النزول قائلاً " المكان هذا آخر ما يمكن " قلت له ما يزال الحرم بعيداً جداً وها نحن نرى السيارات تسير فعلام وقوفك هنا. فأصر على الوقوف وهنا كانت ستحدث بالنسبة لى أزمة لو وافقته ونزلت، وذلك لأن الطقس كان حاراً جداً.

ولأننى لن أهدى إلى الطريق الموصل للحرم الشريف لو سرت على قدمى لأنه سار بى فى طريق غير معروف لى، لا أدرى أين أنا من المحرم؟ وأين الحرم منى؟

وليس من الميسور أن أجد سيارة أخرى تقبل عرضي الوصول إلى الحرم، ونحن في هذا المكان.

دعوت الله أن يهديه، وأبصرت وأبصر هو معي جندي المرور يشير بيده للسيارات أن تتقدم فتواصل سيرها بلا توقف، فانتهزت هذه الفرصة وقلت له:

ألم تر رجل المرور يؤذن لنا بالسير، فهل معقول أن يكون السير ممنوعاً وهو لا يدري؟

قال: وماذا تريد بعد ذلك .. قلت بالأمس أخذت سيارة أجرة من منطقة " الحفائر " وهي قريبة من الحرم، فلنكن وجهتنا إلى هناك.

قال: لا .. ولكن ساقربك منها، ثم استأنف السير فحمدت الله، وشاء الله أن يبدأ في الحديث معي عن " المهدي " بعد أن عرف أنني مقيم بجوار الحرم ومدرس بالجامعة .. وكان مما جرى بيننا من حديث: هل " المهدي " سيكون من الأحياء، أم هو رجل قد مات ولا بد أن يعود كما يعتقد الشيعة؟

وكان جوابي على الشق الثاني: إن عودة الأموات أحياء قبل يوم القيامة كان نوعاً من المعجزات المادية ظهرت في حينها، أما الآن، وبعد الإسلام، فإن معجزة القرآن كافية في هداية الناس إلى الخالق، ولم نسمع أن ميتاً عاد إلى الحياة ونحن في القرن الرابع عشر من بدء ظهور الإسلام.

وهنا ثارت ثائرتة قائلاً: ومن قال إن الأموات لا يعودون أنا أعرف رجلاً كان قد مات في حادث صدمته سيارة ظلماً وغسل وكفن وصلى

عليه، وظل في قبره سنتين، وبعدها فرجى أهله أنه يدخل عليهم بعد أن قام من قبره وعليه ملابس كفته ؟؟ قلت له: وهل رأيته ؟

قال: نعم لكنه ينظر ولا يتكلم أبداً وما يزال موجوداً عند أهله على هذه الحالة منذ أربع سنوات !؟..

ولمست من نبرات حديثه أنه يستلذ الكلام حول هذه الواقعة فرخت الإحقة بالأسئلة ليجيب عنها وينسيه الحديث أمر الوقوف الذي وعد به، فكل ثانية يسير بي فيها لى فيها ربح .. الإحقة بالأسئلة السؤال تلو السؤال وأنا أدرك فى قرارة نفسى أن ما يقوله خرافة أو هو شيء أقل من الخرافة شأنًا، لأن ما يقوله مخالف لسنة الله فى الناس، ولأن ما يقوله لو كان حقًا لكان حديث العالم كله ولعرضته شاشات التليفزيون فى كل بقاع الأرض، ولجعلت له الصحف بابًا ثابتًا تتابع فيه أخباره أولاً بأول، ولما كان خبر ذلك الميت الذى عاد وقفًا على هذا " السائق " وحده أو على حفنة من الناس، ويغيب خبره عن الجميع حتى على أبناء بلده. !؟

وفعلًا لم يفق صاحب السيارة من حديثه أياى المستطاب لديه حتى أشرت عليه بالوقوف قائلاً: هاهى ذى " الحفائر " شكرًا .. !

ورحلة على الأقدام

ومن الحفائر سرت مترجلاً قاصداً " ماوى " بجوار الحرم الشريف، وكلما تقدمت كنت أرى عدد "الجنود" المرابطين يزداد، ويزداد، ولكن أحدا منهم لم يسألنى إلى أين تذهب، فكنت أحمد الله فى خطوة أخطوها، فقد كان

أمر الخروج من المنطقة " سهلاً " ولكن العودة إليها " محظورة " سرت، وسرت، حتى أبصرت مآذن الحرم الشريف، ورأيت جدرانه وكان قباب قوسين أو أدنى، وبينما أنا أخطو إذا بصوت أسمعه يقول: " يا ولد .. يا ولد " فأدركت أنه يعينني، فالتفت نحوه فإذا بى أرى جندياً صغيراً يجلس على ناصية وسلاحه بيده وعمرى أكثر من ضعفى عمره .. ولم أغضب لمناداته لى بـ " يا ولد .. " حيث قد علمت أنها كلمة بريئة ولا تعنى الإهانة لمن ينادى بها، فهى كلمة نداء جرى العرف بها ينادى بها على الرجال الذين هم فوق مرحلة الشبيبة، ودون مرحلة الشيخوخة.

قلت له: نعم ..

قال: فين تبغى، فعرفته بقصتى، فأشار بيده: ارجع من هنا .. فوجدتني مأموراً بالسير فى شارع ضيق يبعدنى عن الحرم .. سرت فيه وأنا لم أفقه تماماً ما معنى الأمر الصادر لى بالسير فيه. بعد عشرات الخطوات أبصرت جنوداً يقفون بمدخل شارع أضيق متفرع من هذا الشارع الضيق، فتوجهت نحوهم قائلاً فى نفسى، هل هؤلاء هم الذين مختصون بإعطاء الإنن فى الدخول.

وقبل أن أصل إليهم إذا بشاب يرتدى الزى العربى ويجلس بجوارهم يشير على بأن أقدم عليه، فقتمت وسألنى من أنت، عرفته بنفسى وبعملى، قال وهل معك إقامة؟. فعرضت عليه إقامتى، قال: وأين تبغى. قلت: الفندق الذى أقيم فيه بجوار الحرم .. ثم تناول منى حقيبة يدى وفتحها واطمان، ثم أذن لى بالدخول مشيراً إلى الجنود أن يفسحوا لى الطريق، وعلى امتداد البصر رأيت جنوداً آخرين فخشيت أن يعترضونى، فعدت إليه مرة أخرى وطلبت منه أن يعطينى " تأشيرة " دخول أقدمها لمن يهमे الأمر. ابتسم

وقال: لن يسالك أحد بعدى أبداً، سر ويعينك الله .. استبشرت بهذه الكلمة وزادت خطواتى وثوقاً إلى الإمام .. وعند اقترابى من "مداخل" الحرم الشريف وجدتسى أسير وسط حشود هائلة من الجنود مختلفى الرتب، وأبيت أن أسير فى وسط الشارع إذ لم يكن أحد من المدنيين يسير غيرى، وسيرى فى وسط الشارع قد يلقي على شبهات، ولذا تعمدت أن أسير وسط الجنود الذين لم يخل منهم مكان على الرصيف: حرس وطنى، ورجال جيش، وقوات أمن وكم حمدت الله وأنا أدخل الفندق، ولم أكد أصدق أننى فعلاً قد وصلت إليه، فهو القريب البعيد فى آن واحد.

بعض المعتدين يستسلمون

وما كدت أجلس فى " بهو " الفندق حتى أبصرت حركة غير عادية بين قوات التطهير وسمعت أصواتاً تملو، وأبصرنا شاباً من المعتدين يقفز من إحدى نوافذ الحرم الشريف، معلقاً سلاحه فى كتفه رافعاً يديه مهزولاً نحو قوات التطهير معلناً استسلامه، وسرعان ما التف حوله الجنود وأمسكوا به ثم رحلوه .. وحدث بعد هذا أن استسلم اثنان آخران بعده فيما شاهدناه نحن من الجهة المقابلة لنا.

والمعروف أن وقائع هذا الاستسلام كانت تحدث فردية، لأن قادة المعتدين كانوا يحظرون الاستسلام على أتباعهم، بل ويقتلون من يرون لديه حب الاستسلام، ولهذا فإننا يمكن أن نقول إن الفارق منهم للاستسلام كان يخشى قادة الاعتداء أكثر من خشية قوات التطهير، لأن قاداته لو

أبصروه مستسلماً لقتلوه فى الحال، أما قوات التطهير فستبقى عليه حياً - ولو إلى حين - حتى يحكم القضاء على أمره.

والموت المتوقع، بعد حين أهون من الموت الحال.؟!

والملاحظ لنا حتى الآن - الثلاثاء الثامن من المحرم - أن المعتدين اضطروا - أمام مطاردة قوات التطهير - إلى الزحف إلى " قبو " الحرم الشريف، وأخلوا كل مواقعهم التى كانوا متمركزين بها فى الدورين العلويين، كما أخلو جيوبهم فى المآذن، وأصبحت قوات التطهير حرة الحركة داخل وخارج الحرم الشريف، وكانت القوات السعودية الموكولة إليها تطهير الحرم تقوم بعمل نوبات بين الجنود، فرق ترحل وأخرى تحل محلها، وبخاصة فى قوات الحرس الوطنى ذات الأعداد الهائلة، ولكن الحرم مازال محظوراً دخوله لغير العسكريين وعمال النظافة وآخرين كانوا يقومون ببعض المهمات داخل الحرم.

ظاهرتان مختلفتان

ومما تجدر الإشارة إليه أن ظاهرتين قد لمسناهما مختلفتين كل الاختلاف الظاهرة الأولى كنت نقرأها فى الصحف، وتسمعها فى وسائل الإعلام "الراديو" وخاصة فى الإذاعات الأجنبية، صحيح أن إذاعة المملكة العربية السعودية كانت لا تنذع إلا البيانات الرسمية، وكذلك التلفزيون، فإذا لم تكن بيانات فالصمت هو الغالب " اللهم إلا أحاديث العلماء التى تستنكر هذه الواقعة وتبين شناعة الجرم فيها ".

أما الصحافة فقد كانت تسبق الأحداث، ويكفى في تأكيد هذه الظاهرة أن إحدى الصحف طلعت على قرائها بنبأ أبرزته على صفحتها الأولى يوم الاثنين السابع من المحرم مؤداه أن المهدي المزعوم قد تم القبض عليه ومعه - بداخل الحرم - زوجه وأخته، ثم جاءت البيانات الرسمية بعد ذلك بثمانية أيام تؤكد أنه - أي المهدي - قد قتل في عمليات الاقتحام الأخير..!؟

كما أذاع راديو لندن يوم الجمعة الرابع من المحرم أن الفتنة التي وقعت في الحرم قد تم القضاء عليها نهائياً وأردف المذيع يقول إن فتنة الحرم قد استمرت قبل القضاء عليها ثلاثاً وتسعين ساعة، ولما كنا نراقب عن كثب سير الأحداث فإبنا كنا نرى أن الحقيقة شيء، وأن ما تنشره الصحف، وما تتناقله بعض الإذاعات شيء آخر.

أما الظاهرة الثانية فهي البيانات الرسمية، وقبل القضاء على الفتنة كانت تلك البيانات تصدر إما عن وزير الإعلام السعودي الدكتور عبده يمانى، وإما عن بعض القادة العسكريين، وهذه البيانات كانت تستلزم عرض الحقيقة كما هي، حتى أن الدكتور عبده يمانى ناشد وسائل الإعلام في حديث تليفزيونى أذاعه تليفزيون الرياض ليلة الثلاثاء الثامن من المحرم، ناشد فئة وسائل الإعلام أن تلتزم بالحقيقة ولا تتسرع في نشر أشياء عن مجرى الأحداث في الحرم لا أساس لها من الصحة.

ويعلم الله أننا كنا نستريح لمثل هذه البيانات لأنه لا شيء أجمل من الأمانة والتمسك بالصدق ولو كان مرا.

وإذا تجاوزنا هذا فإننا منذ الثلاثاء الثامن من المحرم أمام مرحلة رابعة وطويلة من مراحل عمليات المطاردة والتطهير وتمتاز هذه المرحلة بأن المعتدين قد دحروا وضاق الخناق حولهم، فهام الآن يعيشون معزولين في " قبو " الحرم، سدت عليهم كثير من المنافذ، ولكنهم ما يزالون خطراً داهماً لا أمان داخل الحرم حتى يظهر منهم " القبو " .

المرحلة الرابعة

وفي هذه المرحلة الرابعة استعملت ثلاث وسائل في المطاردة فضرب النار لم يتوقف وإن بدا على نوبات، وهذه هي الوسيلة الأولى. أما الثانية: فهي مضايقتهم بإطلاق الماء عليهم عليهم يفكرون في الخروج والاستسلام.

والثالثة: الاستعانة في تحقيق هذا الهدف باستعمال الغازات .. وبدأت هذه الوسيلة تستعمل على نوبات حيناً بعد حين.

ولكن كل هذه الوسائل لم تحقق الهدف الأسمى، وكاد صبرنا ينفد أمام "استماتة" هؤلاء المعتدين، فكيف يعيش إنسان وهو معزول عن الحياة " تحت الأرض " يخيم عليه الظلام من فوقه ومن تحته، وعن يمينه إن كانت له يمين، وعن شماله، والقوات تحاصره من كل مكان، والماء يسيل تحته، والنار تدوى في أذنيه والهواء الفاسد طعمه وشرابه.

وكان الذي يحزننا أننا لا نسمع أذاناً في الحرم، ولا تقام فيه صلاة، ولا يؤدي حول كعبته طواف.

ويعلم الله - كذلك - أننى كلما اشتد بى الضيق من أجل تعطيل الحرم وصد عباد الله عنه قفزت إلى مشاعرى تلك الرؤيا التى أريتها قبل الحادث بيومين - تقريباً - والتى تتمثل فى الطائرة الخضراء التى اضطربت فوق أجواء الحرم حتى كادت تسقط ثم سرعان ما اعتدلت وواصلت سيرها بسلام آمن.!

كانت تلك الرؤيا كلما تذكرتها سرت فى نفسى القلقة موجة من الاطمئنان مستوحاة من رموز الرؤيا نفسها، فاضطراب الطائرة ثم اعتدالها كان معناه-عندى- أو هكذا فهمت أن الأمور داخل الحرم ستعود كما كانت، وسيفتح الحرم أبوابه لقاصديه من الطائفين والعاكفين والركع السجود، وأن الذى نراه الآن ما هو إلا سحابة ركماء سرعان ما تنقشع. وفهمت من كون الطائرة خضراء اللون أن الأمان هو المعنى به، فاللون الأخضر هو رمز إقبال الحياة وقيامها كما يرى بعض الفلاسفة المعاصرين، وهو عندهم أكثر الألوان بشراً حتى من اللون الأبيض، لم أر لتلك الرؤيا تفسيراً غير هذا، فكان ذلك مدعاة للاطمئنان كلما استبد بى القلق.

استمرت هذه المرحلة بوسائلها الثلاث الأربعاء والخميس والجمعة والسبت، وفى ضحى السبت الثانى عشر من المحرم كان لابد لنا من الذهاب إلى الجامعة، فطلبنا الإذن من أحد الجنود الموجودين قريباً من الفندق، فقال إنه لا يملك أن يسمح لنا بالخروج .. ثم انصرف، ولكنه عاد ومعه "ضابط" من رؤساء الفرق وسألنا لماذا نريد الخروج ..

قصصنا عليه القصة فأن لنا بعد التأكد من صحة ما قلنا .. وفى الطريق استوقفنا مرات لمعرفة " هويتنا " ومن أين جئنا وإلى أين نذهب وبخروجنا من الفندق لم يكن فيه إلا شاب صغير هو مساعد مدير الفندق، أما المدير فقد سافر فى مهمة عائلية إلى القاهرة .. وأما الأسرتان الباكستانية والمغربية فقد أذنت لهما السلطات بالخروج للسفر إلى بلادهم، فهم من بقايا " الحجاج " الذين تأخرت عودتهم إلى بلادهم بسبب تلك الأحداث المؤلمة.

بكاء من أجل الحبيب

والشئ بالشئ يذكر، فقد شاهدنا عصر يوم أحد الحجاج الباكستانيين يبكى بشدة ويختنق صوته، وهو يعمل بسلاح المدفعية فى جيش بلاده، سألناه عن سبب بكائه فلم يستطع أن يجيبنا لاختناقه بالبكاء، ولأنه لا يعرف من اللغة العربية إلا كلمات لا تسمن ولا تغنى من جوع. فظننا أن السبب هو عدم السماح له بالسفر، أو أن ألم ظهره قد اشتد عليه - وكان يشكو من ألم فى ظهره - ولكن شقيقه الأصغر منه فسر لنا السبب فقال بلغة عربية ملحونة: إننا لم نزر الرسول - عليه الصلاة والسلام - حتى الآن، وكان المفروض أن نذهب إلى المدينة منذ سبعة أيام، وأخى يبكى الآن لأنه يخشى أن نعود إلى الباكستان ولا يسمح لنا بزيارة الرسول - عليه الصلاة والسلام - فى المدينة.؟!

إنه شعور محب صادق، خشى أن لا يؤذن له فى زيارة من يحب
فظل ينتحب أشد ما يكون النحيب، ولم يحرم الله المحب من زيارة من أحبه
فكان له ولهم ما قصدوا، فما أعظم الإيمان، وما أكرم المؤمنين عند الله..؟



عدنا مغرب يوم السبت الثانى عشر من المحرم إلى الفندق، فرفضت
القوات المرابطة عبورنا إليه مهما أبدينا من أذار، ولكننا سرنا فى بعض
الطرق الضيقة المأذون بالسير فيها إلى قدر معلوم، وفجأة وجدنا أنفسنا
أمام من يعرف " مشكلتنا " من الجنود القريبين من موقع الأحداث، فأنذروا
لنا بالدخول، وما جاوزناهم ببضع خطوات حتى واجهنا موجة شديدة من
الغازات كادت تخنق أنفاسنا فى حلقنا، وكل الجنود يضعون على وجوههم
" كمامات واقية " أما زميلى فقد عاد أدراجه مرة أخرى ولم يجرؤ على
مواجهة الغازات لشعوره بحساسية شديدة نحوها، وأخذت طريقي إلى
الفندق، وتوا صعدت إلى غرفتى، وأغلقت كل منافذها وأحكمت الثغور
بكميات من الورق والملابس، الغرفة مظلمة لانقطاع النور كما تقدم،
مراوحها لا تعمل وكذلك " الكونديشن " وكان يمكن أن يخففا من حدة
الغازات لو كانا يعملان..؟

مكثت مقداراً من الزمن، فصعد إلى مساعد المدير الوحيد المقيم فى
الفندق، ولو وجد فراراً لفر، قال جئت لأطمئن عليك لأنى خشيت أن يكون
قد أصابك ضرر ..؟

وشاء الله أن تخف الحدة وأن تتوقف الغازات، حتى منتصف الليل، وغشاني الله النعاس أمنة منه، ولكن في الساعة الواحدة والنصف بعد منتصف الليل، وكنت ببهو الفندق المحطم الزجاج، صحت فزعا وأنا عاجز عن التنفس، لأن الغازات كانت قد عادت من جديد أكثر عنفاً، حاولت تحاشيها بما ملكت يدي ولكن بدون جدوى.

وأبصرت مساعد المدير يرقد بلا حراك، فتقدمت منه أتخس حالته، فلما رأيته يتنفس وهو يتقلب يمينا وشمالا خاطبته قائلاً: محمود، فأجاب نعم، قلت: ما الحل ؟ قال هيا بنا نذهب إلى إحدى الغرف لعلها تكون آمن من هذا المكان، ثم أعطاني كمادة واقية كان الجنود قد أعطوها له ومعها أخرى لاستعمالها عند الحاجة، استعملتها فلم تغن شيئاً، جربنا أكثر من غرفة فلم نجد ملجأ، فما نصنع؟

أنفر في هذا الوقت ونخرج من الفندق إلى مكان بعيد .. إن الفرار في هذا الوقت وتحت هذه الظروف سيثير حولنا شبهات وشبهات؟ أنظّل في مكاننا هكذا ..؟ وفي هذا تعرض لخطر داهم .. إنه مأزق لن يخرجنا منه إلا الله.

لجأنا إلى غرفة بلا اختيار، وسدنا ثغورها .. وجاء الله بالمخرج، فقد غشانا النعاس مرة أخرى حتى مطلع النهار، وأخذت أفكر في الواجب المنوط بي، فإجراءات الأمن حول المنطقة مشددة، وهذا قد يحول دون ذهابي غداً " الاثنين " إلى الجامعة، وفي هذا إخلال من جانبي بالمسئولية، إذن فلأحاول الخروج من الآن استعداداً للعمل غداً، ونجحت المحاولة وشاء الله أن أجد مسكناً في منتصف المسافة بين الحرم الشريف وموقع العمل، وكنت في اليوم التالي " الاثنين " قد سمعت أخباراً أفرحتني بنصر

الله المرتقب الذى قدر الله له أن يتم فيما يمكن أن نطلق عليه اسم " المرحلة الخامسة " من مراحل التطهير.

المرحلة الخامسة .. الحاسمة

لقد مارست قوات التطهير ضروباً عدة فى مطاردتها للمعتدين على حسب ما بينا فى المراحل السابقة، وكانت خلالها تنتقل من نجاح إلى نجاح، لكن المرحلة الرابعة لم تؤد إلى المقصود منها وهو استسلام البقية الباقية التى لجأت إلى " القبو " وقالت للدنيا " عليك السلام " وما ألجأهم إلى هذا إلا اليأس، وقبح الجريمة التى اقترفوها، التى لن يقفرها لهم الناس، ولا رب الناس، وإزاء هذا العناد قررت قوات التطهير أن تضع لهذه المأساة " نهاية " وليقضى الله أمراً كان مفعولاً .. وفعلًا قضاءه.

وقد سجل يوم الثلاثاء الخامس عشر من المحرم خاتمة المطاف من عمليات التطهير، وهى التى يمكن أن نطلق عليها المرحلة الخامسة من مراحل المطاردة والقتال، وفيها اقتحمت قوات التطهير آخر حصون المعتدين وهو " قبو " الحرم الشريف، فقتلت من المعتدين من قُتلت، وأسرت من أسرت، وكان على رأس القتلى منهم من ادعى لنفسه أنه المهدي المنتظر (محمد بن عبد الله القحطاني)، وكان على رأس الأسرى نائبه (جهيمان بن سيف العتيبي)، وقبل أن نتجاوز هذا الحديث إلى غيره نثبت للقارئ الحديث الذى أدلى به العميد الركن فالح بن محمد الظاهري قائد مجموعة الملك عبد العزيز الآلية، والذى عهد إليه بالإشراف الفنى على عمليات التطهير، وقد أدلى بهذا الحديث لجريدة المدينة الصادرة فى يوم الخميس السابع عشر من المحرم أى بعد إتمام عمليات التطهير بيوم واحد، وهذا نص الحديث مع خريطة عمليات الاقتحام النهائية:

العميد الركن فالح الظاهري يقدم شرحاً وافياً كيف تمت عملية اقتحام الأقبية أسفل الحرم!؟

- العملية كانت على نمط " حرب العصابات " وعلى محورين.
 - " العصابة " استخدمت " جنث الأبرياء " للتحصن بها.
 - الأوامر المشددة صدرت إلينا بإعطائهم فرص الاستسلام.
- مكة المكرمة - قدم اثنان من الضباط السعوديين أمس شرحاً وافياً
للعمليات الأخيرة التي تمت لتطهير أقبية الحرم الشريف من مجموعة
(المهدى الدجال) ومنظره الفكرى (جهيمان العتيبي).

فقال العميد الركن فالح محمد الظاهري قائد مجموعة الملك عبد
العزيز الآلية، إن القبو فى أسفل الحرم عبارة عن حصن منيع استغلته هذه
الشرذمة وتحصنت داخله والخريطة تبين كثافة تحصينات هذا القبو الذى
توجد به (٢٢٥) غرفة تستخدم كخلاوى وكغرف للزمazمة .. أمام هذه
الغرفة طرقة بارتفاع ١٣٠ سم عن الأرض وبعدها يرتفع جدار عن
الأرض، ثم يأتى صحن ورواق كامل مشابه للرواق الأعلى .. والقبو
السفلى مشابه للدور فوق الأرض. بنفس البناء ويزيد على أدوار الحرم
بوجود الخلاوى فيه.

ومن هنا فهو عبارة عن حصن شديد لا مثيل له فى العالم.
ومنذ اقتحام هذه العصابة للمسجد الحرام فإن كل التحصينات داخل
المسجد الحرام أصبح يضرب حسابها، وقد كنا نخشى أن يلجأ هؤلاء إلى
استغلال (الكعبة المشرفة نفسها).

وعندما بدأنا فى احتلال الأجزاء العليا من الحرم اضطروا للنزول إلى القبو.

ومنذ بد العمليات لتطهير الحرم حرصنا على إنفاذ توجيهات جلالة الملك : بالحفاظ على الحرم الشريف أو أماكن العبادة سليمة من أى أذى. والحفاظ على أرواح الأبرياء وتقليل الخسائر البشرية ما أمكن والقبض على المخربين أحياء.

وصدرت إلينا أوامر مشددة بأن نحاول أن نتيح لهم فرصة الاستسلام، وكما نكرر النداءات إليهم بأن يتوبوا إلى رشدكم. وكان سمو الأمير سلطان وسمو الأمير نايف حريصين على ذلك، وكثيرا ما كانوا يطلبون منا أن نوجه إليهم هذه النداءات.

والواقع أن تطهير الحرم تم فى فترة قياسية (إذا قارنا ذلك بما يحتاج إليه معالجة حل مشكلة مهاجمة إرهابيين لمرفق ما فى الخارج وما يحتاج إليه من وقت طويل).

لقد كانت سماحة المسؤولين فرصة ذهبية لهؤلاء بل إن ما لاحظناه. أن كل من حاول مغادرة القبو والهرب للخارج كان يطلق عليه الرصاص من جانب هذه الفئة.

وبلغت بهم البشاعة، وعدم مخافة الله وخشيته أنهم استغلوا جثث الأبرياء للتحصن بها، إنهم مهما عملوا من جريمة بعد هذه الجريمة جريمة احتلالهم للمسجد الحرام ومنع المسلمين من إقامة الشعائر الدينية، الأمر الذى لم يحدث منذ أن أقام سيدنا إبراهيم - عليه السلام - قواعد البيت، فلن يكون أقطع من ذلك.

• كيف اقتحمت الأقبية^(١) ؟

كان لاقتحام البدروم فى مثل هذه الظروف هى عبارة عن حرب ضد عصابات. لذلك فقد عملت الخطة من القيادة لاقتحام البدروم محافظين على المبادئ الأساسية وهى المحافظة على الأرواح.

وكانت الخطة أن يقسم البدروم إلى قطاعين، وأن يكون العمل على محورين، محور باب السلام، ومحور باب الصفا، وشكلت مجموعة اقتحام من محور باب السلام، كان فيها ست مجموعات للاقتحام، وشكلت مجموعة باب الصفا تشمل ثلاث مجموعات اقتحام.

كان على المجموعة الأولى من باب المسعى أن تقتحم أحد الأبواب إلى أن تصل وتثبت فى مكانها إلى أن تصل المجموعة الأخرى وهى عملية فنية جدا.

المجموعة الثانية من باب زيادة.

المجموعة الثالثة على باب السلام.

المجموعة الرابعة لتطهير باب العمرة.

المجموعة الخامسة من باب الشبيكة.

المجموعة السادسة من باب إبراهيم إلى أن تصل إلى باب الملك عبد

العزیز.

• فى المحور الثانى :

المجموعة الأولى من مدخل المسعى إلى باب الصفا.

المجموعة الثانية من باب الصفا إلى باب جواد.

المجموعة الثالثة تطهر منطقة باب الملك عبد العزيز.

(١) هذا وما يليه سؤال مندوب الجريدة للعميد الظاهرى.

لقد استغرق العمل المتواصل منا ١٨ ساعة، كنا نحاول فيها ونحرص على تطهير الغرف تطهيراً كاملاً وهى ٢٢٥ غرفة، بعض الغرف الموجودة تحت الأبواب الرئيسية محصنة، وملتوية وتتكون من طابقين، وكان البغاة يتمركزون فى هذه الغرف، بالإضافة إلى أنهم قاموا بإتلاف جميع التوصيلات الكهربائية مما اضطرنا لمد أسلاك كهربائية من الخارج، ثم هناك أثار الحرائق التى قاموا بإشعالها وكانوا لا يتورعون عن القيام بهذه الأعمال التخريبية إلى آخر دقيقة منهم.

• كيف كانت الروح المعنوية لدى الجنود ؟

ليس هناك هدف فى الدنيا أسمى من الاستشهاد، فكل شيء فى سبيل الله يكون رخيصاً وترخص الحياة كلها وما حوت.
وكان هذا رائد جميع من عملوا معنا من رجال الأمن والقوات كانوا يتمتعون بروح عالية وهم يحاولون أن يخلصوا حرمة بيت الله من هؤلاء البغاة المفسدون.

ولقد كان كل فرد منا يقشعر بدنه خوفاً من إطلاق الرصاص على هؤلاء المجرمين وهو يعلم أماكن وجود بعضهم ليس خوفاً ولكن خشوعاً وخشية من إطلاق الرصاص فى بيت الله الآمن.

ولقد قال الله تعالى: ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلَوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ كَذَلِكَ جَزَاءُ الْكَافِرِينَ ﴾ (البقرة: ١٩١)
وهم الذين بدلوا بالقتال، بل قتلوا الأبرياء، وسفكوا الدماء.

لقد ذكرت لك أن الروح المعنوية بين الجنود كانت عالية جداً، ولقد لمسنا التعاون وحسن النظام والتنسيق من الجميع مواطنين مدنيين وقوات مما ساعدنا على أداء واجبنا والنجاح فيه.

ولقد لاحظت جراحا حديثة على وجه السيد العميد فى الجانب الأيسر
فسألته عنها^(١) :

فرد بقوله : إنها جروح بسيطة شرفنى الله بالإصابة بها فى بيته
الحرام، أرجو أن أجد الأجر عليها عنده سبحانه وتعالى ولو أننى حرمت
الشهادة ولكنى رحمت بهذه الجراح.

• ما هى مشاعرك الآن والسلام والاطمئنان يعودان إلى مكة وإلى
بيت الله الحرام ؟

مشاعرى كمسلم يزور بيت الله الحرام خمس مرات فى اليوم وقد
حرم من ذلك طيلة أيام وجود الطغمة الباغية فيه ثم العودة إليه الآن مرة
أخرى فحمدا لله.

• هل استسلم من هؤلاء المجرمين لحد ؟

لم يستسلم بطوعه أحد منهم، ولكننا ألقينا القبض عليهم جميعا.

• هل تعتقد سيادتكم أن الخسائر تناسب حجم العملية ؟

إذا أردنا أن نقوم بمقارنة بين هذه العملية وأى عملية فدائية مماثلة
فإننا نخرج بنتيجة أن هذه العملية رغم كبرها لم نتكبد فيها خسائر نذكر
بالنسبة لحجمها. والحمد لله فإننا لا نعتبرها خسائر بل استشهادات
محظوظين فازوا بالشهادة والحمد لله رب العالمين.

وهذا الشرح الدقيق لرجل عسكرى له شأنه، يرينا إلى أى مدى كانت
مهمة تطهير المسجد الحرام من المعتدين معقدة باللغة الصعوبة. فهناك
مائتان وخمس وعشرون غرفة كان أمام قوات التطهير أن تواجه ما فيها
وتقوم بتطهيرها. وبعض الغرف كان مكونا من طابقين، بالإضافة إلى
اتساع "القبو" نفسه حيث تعادل مساحته مساحة الحرم نفسه، ولذا فقد

(١) هذا كلام مندوب الجريدة.

استغرق وضع الخطة الاقتحام النهائى ثمانى عشرة ساعة ونفذتها مجموعات عمل اقتحامى بلغت تسع مجموعات لكل منها مهام خاصة تؤديها بالتناسق والترتيب بينها. ونظرة عابرة على الخريطة التى وضعت للاقتحام ترى القارئ مواقع فرق الاقتحام واتجاهاتها منها حتى تم القضاء النهائى على أولئك (البغاة) المعتدين.

على أن شعورهم بقیح ما ارتكبه هو الذى حملهم على عدم الاستسلام حتى فى عمليات الاقتحام النهائى - كما صرح بذلك العميد الركن الظاهرى - فى حديثه هذا.

و شاء الله أن یقتل من ادعى أنه المهدي (محمد بن عبد الله القحطانى) وأن يقع فى الأسر جهيمن بن سيف العتيبى. أخطر رجل فى المجموعة، وكان يشغل أحد المناصب فى الحرس الوطنى، ثم فصل لسوء سلوكه.. وتعرف على محمد بن عبد الله القحطانى (المهدي الدجال) وتوطدت العلاقة بينهما ثم تزوج أخته. وليس ببعيد أن يكون هو الذى أوعز لمحمد القحطانى بهذه الفكرة الضالة وجندا لها - معا - من جندها لحاجة فى نفسى (لا أقول يعقوب) كما جاء فى المثل المعروف، ولكن أقول لحاجة فى نفس الشيطان.

وبعد عمليات التطهير النهائية عرض التلفزيون السعودى المهدي الدجال وهو قتيل، كما عرض جهيمن العتيبى وكان ينظر بعينين حاقدين. وصورته توحى بأنه مطبوع على الإجرام، بينما كانت شفاته تتحركان ولكن بصوت لم يتح لنا سماعه، كما عرض التلفزيون أربع مجموعات من المعتدين تم القبض عليهم فى عمليات الاقتحام النهائى. وكلهم شباب مع التفاوت فى السن ويرى بينهم بعض الأطفال.

وقد كان البعض يشيع أن "محمد بن عبد الله القحطاني" لم يقع فى الأسر، ولم يقتل، ولكنه "هرب" بعد أن ارتدى ملابس "الحريم" ولكن التليفزيون السعودى قضى على هذه الشائعة حيث عرضه قتيلا أمام المشاهدين كما استضاف شقيق "المهدى الدجال" وأقر أمام الشاشة أن أخوه محمد بن عبد الله القحطاني. كما استضاف ابن أخته، وهو طفل دون العاشرة فيما أرى، وقال إنه خاله فلان. وسأله المذيع : وكيف عرفته؟ فأشار الطفل إلى علامة فى وجه خاله وقال : عرفته بملامحه، وبهذه العلامة. وكذلك أقر آخرون فى نفس العرض بأن هذا القتل هو 'محمد بن عبد الله القحطاني' الذى إدعى أنه المهدى المنتظر.

وفى يوم الأربعاء السادس عشر من المحرم صدر بيانان أحدهما عام من الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية، وقد تناول فى هذا البيان عدة جوانب تدور حول هذه الجريمة التى تم القضاء عليها، كما صرح بالحقائق الأولية التى تم التوصل إليها حتى الآن - ١٦ من المحرم - فيما يتعلق بالحادث نفسه. وننشر لبياناه هذا تليخصا نشرته إحدى الصحف بمكة المكرمة فى ذلك التاريخ. وهذا نصه :

النهاية

سمو وزير الداخلية يروى قصة أحداث الحرم بالتفصيل
التنظيم 'فردى' ولا علاقة لأى دولة به.. وبين أفراد جنسيات
مصرية وكويتية ويمنية شمانية وجنوبية ومغربية وباكستانية
المهدى المزعوم.. قد يكون مقتولا..

ونحاول الآن التعرف عليه بين القتلى والمصابين

روى صاحب السمو الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية كامل
التفاصيل التى أمكن حتى الآن التوصل إليها عن زمرة الخوارج وجريمتهم
النفراء فى بيت الله الحرام - فيما عدا المعلومات التى يتطلب الكشف عنها
التحقيق الدقيق مع هؤلاء.. بعد أن تم تطهير الحرم منهم تماما.. وأسر
الأحياء منهم جميعا - وهو ما سيعلن فى بيان شامل بعد استكمال التحقيق.
وقد تحدث سموه بهذه التفاصيل بصورة شاملة من خلال حديث
تليفزيونى ومؤتمر صحفى.

فقال سموه بأن المعتدين كانوا مسلحين ويمولون بالسلح وأسلحتهم
عادية ومتنوعة.. ومنها أسلحة صيد، وأن أغلبيتهم سعوديون، ولكن بينهم
جنسيات من بلاد إسلامية أخرى منهم مصريون وكويتون ويمنيون
شماليون وجنوبيون وباكستانيون ربما يكشف التحقيق جنسيات أخرى.
وقال بأن المهدى المزعوم ربما يكون قتيلا، وربما يكون بين
المصابين وسيتم التعرف عليه من خلال القتلى أو المصابين.

وأعلن سموه بأنه ليس هناك لأى دولة أجنبية علاقة بحادث الاعتداء على المسجد الحرام وقال سموه إن التحقيق بدأ الآن وظهر أن التنظيم خاص بهم.

وأضاف سمو وزير الداخلية فى مؤتمره الصحفى الذى عقده مساء أمس بمكة المكرمة بمناسبة انتهاء حادث الاعتداء وتطهير المسجد الحرام حضره ممثلو وكالة الأنباء السعودية والإذاعة والتلفزيون والصحف أن المعتدين مسلحون، كما أنهم ممولون بالسلاح، وذكر سموه بأن عددهم فى حدود ٢٠٠ شخص أو أكثر بقليل، وأشار إلى مصير المهدى المزعوم، فقال سموه إننا نعتقد أنه مقتول ولدينا مصابون كثيرون، ونحاول أن نتعرف عليه بين المصابين أو القتلى.

وحول الإجراءات الأمنية فى الحرم الشريف فى المستقبل، قال سموه نحن نريده أن يكون حرماً آمناً ومفتوحاً للجميع فى كل وقت وسنحرص فى الوقت الراهن أن تكون هناك إجراءات أمنية حتى نطمئن إلى انتهاء أسباب الحذر.

أسر الشهداء : محل عطفنا

وعن أسر الشهداء قال سموه إنهم محل العطف من قبل حكومة جلالة الملك، وأننى أهنئهم والفخر لهم بأن آباءهم كانوا شهداء فى خدمة الإسلام، وأن الدار الآخرة أفضل من الدنيا والذى يموت هذه الميتة الشريفة لهو المحظوظ والسعيد.

نقدر شعور المسلمين

وقال سموه أن هناك حوادث في بعض الدول الإسلامية، ولكن هذه الحوادث محدودة، وعلى المسلمين أن ينشروا العقيدة الصحيحة والفهم الحقيقي للإسلام، ومن ناحية أخرى قال سموه نحن نقدر كل التقدير ردود الفعل العربية والإسلامية على المستوى الرسمي والشعبي، وهذا يؤكد أن شعور المسلمين واحد، ويؤكد ما يحتاجه البيت الحرام وهذه البلدة قيادة وشعبا في العالم.

علينا الحذر من الشائعات المغرضة

ومن ناحية أخرى قال سموه إن هناك شائعات مغرضة مصدرها غير أمينة ومعروفة بعدائها للإسلام والمسلمين والحقيقة هي الأبقى والمطلوب من صحافتنا أن تكون دقيقة في إيرادها للحقيقة، وعلى المسلمين أن يتنبهوا لأنهم مستهدفون، وأن لا يغتروا بالنوايا الحسنة والتي تختفى وراءها نوايا غير حسنة، وأن تتعاون الدول والشعوب الإسلامية حتى يدرعوا الخطر عن بلدانهم وشعوبهم، وهناك جهات أجنبية في مقدمتها الصهيونية والإلحاد تشعر أن اتحاد المسلمين خطر عليهم وهم مخطئون، لأن في اتحاد المسلمين وانتشار عقيدتهم استقرارا للعالم، وواجب المسلمين أن يتعاونوا فيما بينهم.

شهاؤنا.. وقتلى المعتدين

وفى حءىء ءلفىزىونى أعلن صاءب السمو الملكى الأمىر ناىف بن عبء العزىز وزىر الءاءلىة أن عءء ضءاءا الاعءءاء على الحرء المكى هم ٦٠ شهىءا من القواء المسلءة المءءلفة؁ و ٢٠٠ مصاب لأن المعتءىن كانوا بءلقون الرصاص بكءافة؁ كما بلغ عءء القءلى من المعتءىن حوالى ٧٥ (ءمسة وسبعىن) والأسرى ١٧٠ (مائة وسبعىن).

نوعىة الأسلءة

وقال سموه إن أسلءتهم عاءىة ومءنوعة؁ ومنها أسلءة صىءء.. وءكر أن العملىة ءامت حوالى أسبوعىن حرصا على عءم المساس بالحرء والكعبة المشرفة؁ وكان باستطاعءتا إنهاء الفءئة ءلال ساءاء. وأوضء سموه أنه تم ءءفىء عملىة ءطهىر المسء بءوءىبهااء من ءلالة ألكمك وولى العهد عاملىن بكل ءهء واءءهء لءءلىص الأبراء إلى ما قبل أىام؁ ءىء طهрна الحرء من آءر مسلم برىء له شركاءة فى الأمر؁ وهءا أعاق السرة؁ وبعء ذلك بءانا فى ءطهىر المنائر والسطوح وأنزلوا للءور ءاىى؁ ثم إلى الصءن؁ ثم إلى الأقىبة؁ وسىطرنا علىهم سىطرة كاملة.

وأضاف سمو وزىر الءاءلىة أننا كنا نحرص على سلامة رءالنسا الذىن كانوا منءفعىن للظفر بالاستشهاء فى سبىل الله؁ وقال إن زعماء المعتءىن قء ألقى القبض على بعضهم وقءل البعض الآخر.

جنسيات المعتدين

وذكر سموه أن المعتدين أغليبتهم سعوديون ومعهم جنسيات من بلاد إسلامية متعددة.

وأكد سموه أن ليس وراء الموضوع دولة أجنبية، وقال إن من بينهم مصريين ويمنيين شماليين وجنوبيين وباكستانيين ومغاربة وكويتيين. وقد نكشف جنسيات أخرى، وعن استئناف العبادة فى المسجد الحرام قال سموه أرجو أن يكون ذلك فى أقرب وقت بعد الانتهاء من التنظيف والإصلاح.

وأعرب عن شكره لوزارة الصحة والهلل الأحمر وأمانة العاصمة وإدارات الكهرباء والهاتف والمرافق الأخرى.. كما شكر أبناء مكة المكرمة وقال "لقد وجدنا منهم كل عون ومساعدة وقد استضافوا القوات فى بيوتهم وأخلوها للقوات، وعشنا وإياهم كعائلة واحدة" .. ووجه الشكر للشعب السعودى على ما عبر عنه من مشاعر التأييد، وطلب المشاركة فى محاربة المعتدين.

وكان سموه قد توجه فى بداية حديثه بالتهنئة للشعب السعودى على انتهاء هذا العدوان الغادر، حيث تمكن جنود الله وجنود الخالد بن عبد العزيز أن يعملوا بتوجيهات جلالته وسموه لى العهد لإنهاء هذه المهمة وفق مبادئ أربعة هى: سلامة الكعبة المشرفة والحفاظ على أرواح الأبرياء من المصلين والطائفين والمحافظة على قواتنا المسلحة من الجيش والحرس وقوى الأمن.. والقبض على الخوارج أحياء هذه الأهداف تحققت، وقال سموه إن هذه الحادثة واعتداء هذه الفئة الخارجة عن الدين الإسلامى على

المسجد الحرام وترويعها للمصلين والطائفين فى البيت الكريم الأمن يعتبر عملاً شنيعاً، لأن الحرم يجب أن يكون آمناً لأنه إذا لم يجد المؤمن الأمن فى بيت الله فأين يجده.

المحاصرة.. وفق أربعة أهداف رئيسية

وقال سموه أن أوامر جلالة الملك خالد قد صدرت بتطهير البيت الحرام، فحضر إلى هنا صباح الثلاثاء صاحب السمو الملكى الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع، وحضرت أنا فى معيته وصاحب السمو الملكى الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة المكرمة وبوشر بمعالجة الموقف، واستدعيت قوات مشتركة من الجيش والحرس الوطنى وقوات الأمن فحضرنا إلى هنا، وكان الإشراف المباشر من قبل صاحب السمو الملكى الأمير سلطان، وكنا نعمل لتحقيق توجيهات جلالة الملك وسمو ولي العهد، وبدأت الفئة الضالة فى إطلاق النار على من فى المسجد وخارجه وقتلوا الأبرياء حتى رجال الإسعاف، وانتظرنا حتى مغرب يوم الثلاثاء، انتظرنا الفتوى التى أعلنت حيث أمرنا جلالة الملك بأن نعيد للحرم أمنه، وهذا ما جعل المهمة تستغرق هذه المدة التى استغرقت قرابة أسبوعين. لالتزامنا بمبادئ أربعة بناء على أوامر جلالة الملك.

وبوشر فوراً بمعالجة الموقف واستدعيت جميع القوات المشتركة من جيشنا المظفر ومن حرسنا الوطنى ومن رجال الأمن الأمناء على هذا الوطن، وفى مقدمته بيت الله الشريف، بالإضافة للظروف الصعبة لبناء الحرم وحرسنا على عدم المساس بالحرم والكعبة المشرفة، وكان علينا

منذ البداية العمل بتوجيهات جلالة الملك وسمو ولي عهده وفق المبادئ والأهداف الأربعة التي سبق وأعلن عنها وهي :

الأول : سلامة الكعبة المشرفة، وهذا والله الحمد تحقق.

الثاني : الحفاظ على أرواح الأبرياء من حجاج بيت الله وهم المصلون والطائفون في بيته الشريف وهذا تحقق والله الحمد.

الثالث : وهو المحافظة ما أمكن على أرواح رجال قواتنا المسلحة في الجيش والحرس الوطني وقوى الأمن وهذا تحقق والله الحمد بأقل ما يمكن من خسائر.

الرابع : وهو محاولة الإبقاء على حياة، أو القبض على أصحاب هذا المبدأ الخارج عن الدين الإسلامي أحياء، وقد تحقق إلى حد ما.

قلنا في بيان هذا الصباح بانتهاء هذا الاعتداء وتطهير الحرم الشريف أو على الأرجح القبر السفلى للحرم، لأن الحرم والله الحمد تطهر منذ أيام، أما الآن فإننا سنتحدث بشيء من التفصيل عن أمور أخرى لابد من ذكرها.. فاود أن أذكر بأن نعود بعض الشيء للوراء قبل أسبوعين عندما حصلت هذه الحادثة وأعتدى على بيت الله الحرام من قبل شرذمة فاسدة روعت المصلين والطائفين في بيته الكريم الأمن الذي يمنع أن يكون فيه رجل يحمل عصا وليست بندقية أو سلاحا، لأن الجميع يجب أن يكونوا آمنين فيه وهذا ما أراده الله عز وجل لهذا البيت، فإن لم يكن البيت آمنا أو لم يجد أى مسلم فيه الأمن فإين يلجأ، فأراد هؤلاء الأشرار أن يقوضوا أمن بيت الله، ولكن الله أبى أن يقوض أمن بيته، فأمر عباده الصالحين وعلى رأسهم جلالة الملك خالد بأن يطهر بيته للطائفين والركع السجود، وهذا ما حصل والله الحمد، ومنذ أن حصلت هذه الفتنة صدرت أوامر جلالة الملك

بتلك الأهداف التي أشرت إليها وحضر إلى هنا صباح يوم الثلاثاء ١٤٠٠هـ صاحب السمو الملكي الأمير سلطان بن عبد العزيز وزير الدفاع والطيران وحضرت بمعية سموه، وكذلك سبقنا إلى هنا صاحب السمو الملكي الأمير فواز بن عبد العزيز أمير منطقة مكة وبوشر فوراً بمعالجة الموقف.

خطة محاصرتهم وتطوير الفتنة

وعن كيفية تنفيذ خطة القضاء على هؤلاء ومحاصرتهم قال سموه :
تم ذلك بالتطوير الكامل والاستعداد من جميع قواتنا التي كلفت بهذه المهمة من الجيش والحرس الوطني وقوات الأمن.
ووفق التوجيهات السامية، وكنا نعمل بكل جد واجتهاد بأن نخلص جميع الأبرياء الموجودين في الحرم، وكنا نسعى إلى ما قبل أيام حتى طهرنا الحرم من آخر إنسان أو مسلم بريء ليست له شراكة في هذا الأمر وهذا طبعاً كان دقيقاً ومعيقاً في الواقع لسرعة تنفيذ المهمة وبعد ذلك بدأنا في تطهير المآذن والسطوح حتى لا يعتدوا على الأبرياء خارج الحرم وأنزلوا إلى الدور الثاني ثم أنزلوا إلى الصحن وبعدها إلى الأقبية وسيطروا عليهم سيطرة تامة.

وقد كان حرصنا على أن نحافظ ما أمكن على سلامة رجالنا بقدر الإمكان وإن كانوا في الواقع مندفعين اندفاعاً كبيراً يتسابقون إلى الدخول إلى الأقبية للظفر بالاستشهاد في سبيل الله، ثم في سبيل تطهير البيت الكريم.

البيان الثانى

أما البيان الثانى فصدر عن وزارة الداخلية بينت فيه العدد الإجمالى لعدد الضحايا والجرحى من الحجاج والمصلين الذين احتجزوا فى الحرم بعد قيام الفتنة. كما ذكرت أسماء الذين تم التعرف عليهم وجنسياتهم. ونص البيان كالاتى :



الرياض - واس.. أعلنت وزارة الداخلية أمس أن عدد الإصابات بين الحجاج والمصلين الأبرياء فى حادثة الاعتداء الأثم على المسجد الحرام بمكة المكرمة بلغت ستة وعشرين قتيلا، منهم ثلاث نساء وهناك تسعة أشخاص لم يتم التعرف على هويتهم ومائة وتسعة جرحى.

وأعلن بيان أصدره صاحب السمو الملكى الأمير نايف عبد العزيز وزير الداخلية أن هذه الإصابات نشأت عن قيام فئة ضالة خرجت على الإسلام والمسلمين، فاقتحمت أقدس بقعة على وجه الأرض فجر يوم الثلاثاء الأول من شهر المحرم ١٤٠٠هـ، واحتلوا جوانب المسجد وأركانه ومناثره، وأخذوا يطلقون نيران أسلحتهم المختلفة على الأبرياء داخل وحول الحرم الشريف دون تمييز ودون مراعاة لحرمة أو قدسية الأرواح والمكان بعد أن رفض المصلون مبايعة من زعموه مهديا. وقال سمو الأمير نايف إن الإصابات شملت السعوديين وغير السعوديين من الحجاج والمتريدين على الحرم الشريف، وأعرب صاحب السمو الملكى وزير الداخلية عن تعزيته ومواساته لذوى الشهداء، وعن أمله فى أن يكتب الله للجرحى الشفاء العاجل.

**** وفيما يلي نص بيان وزارة الداخلية :**

قامت الجهات المختصة في وزارة الداخلية بحصر عدد الذين استشهدوا أو أصيبوا من المدنيين الأبرياء في حادث الاعتداء الأثم على الحرم الشريف صباح يوم الثلاثاء الأول من شهر المحرم الحرام مطلع السنة الهجرية الجديدة ١٤٠٠هـ وحددت جنسياتهم وهوياتهم، وكانت الإصابات نتيجة لقيام زمرة ضالة خارجة المسجد وجوانبه على المصلين والحجاج الأبرياء داخل وحول الحرم باحتلال المسجد الحرام وإطلاق نيران أسلحتها المختلفة من المنائر دون تمييز أو وازع من ضمير لحرمة المكان وقديسية وحرمة الأنفس المؤمنة التي حرّمها الله، فبلغ عدد القتلى ستة وعشرين، والمصابين ١٠٩، ووزارة الداخلية إذ تعلن هذه الحقائق تتوجه إلى الله العليّ القدير أن يتغمّد الشهداء بواسع مغفرته، وأن يلهم ذويهم جميل الصبر، كما ترجوه سبحانه وتعالى أن يعجل بشفاء الجرحى، ويمن عليهم بالعافية، أما أسماء القتلى والمصابون فهي كما يلي.

**** فيما يلي أسماء الجرحى :**

- **سعوديون :** فؤاد زمزمي - سعيد سالم الغامدي - محمد أحمد فقيه - محمد عبد الرحمن ناصر الشهري - عمر محمد مطرفي - محمد اللباسي - خالد محمد سعدون - خليل إبراهيم شرف - شاكر محسن فهمي الحربي - إبراهيم إسماعيل - محمد نور أشقر - محمد سراج رمضان - يوسف يونس ندا - إلياس عبد المناع - عزيز عبد الله عمر - عمر محمد أحمد - غازي سليمان الحربي - علي محمد يوسف حجاج - بكر نوح محمد فلاتة - علي حسن الزبيري - يحيى علي حسين حيزاني - أحمد خميس الحربي - علي محمد - إبراهيم حسين أحمد - عبد العليم أحمد

مغربی - محمد حمید الحربی - محمد أحمد حجی - علی عمر غزالی -
إسماعیل کبیر أحمد - إدريس رجب.

**** وفيا یلی أسماء الشهداء :**

• **پاکستانیون :** فضل هادی إمام - ملكة باکثر الباكستانية - حاجی
عبد الرحمن رزنک - ملك محمد لطمان.

• **سعوديون :** خالد سليمان رجب - يوسف یونس مורدي - زين
عبد الله الشهري - فيصل خلف العتيبي.

• **اندونيسيون :** حنان حسن البصري - إسماعیل کاند - علی علی
عثمان هتمان.

• **هنود :** إسماعیل عبد الشکور - طهير محمد نقير الهندي -
زهير محمد هندي - فاطمة محمد بيبي.

• **مصريون :** عطية أحمد أحمد.

• **بورميون :** إسلام عبد الشکور محسن.

• **پاکستانیون :** زوق محمود الباكستاني - قاسم صادق باکستاني -

وجنت بيبي - مهر إقبال - قاسم أبو بشير خان - عبد المقصود إسماعیل

- نسيم أحمد - بختيار صدقة خان - محمد سلام کرم - محمد أفضل

دوس محمد - غلام بکر - شیر محمد مدو خان - عبد القادر يحيى

بسکتانی - علقه الباكستاني - اختر بیجوم - حبيب عبد الرحمن - سردار

اختر بیجوم - غلام حسن غلام - محمد ضيف الله - محمد سليم محمد

أمين - نوری محمد جمال الدين - جمال الدين محمد - محمد حسين

الباكستاني - سروار علی خان - بنار خان کالا - نذیر أحمد محمد دين.

• مصريون : محمد مغربي عبد القادر مغربي - محمد موسى مصطفى - عمر عبد اللطيف - قيصاني حسين عبد الغني - أبو المجد محمد أبو النور - حسن محمد عبد اللطيف - قطب محمد إبراهيم - عبد الفتاح عبد القادر - خالد طه إبراهيم - محمد حسين محمد - عباس محمد عمر - عبد السلام عبد الجواد.

• يماثيون : راشد عبد الله يحيى - صالح خدام حيدر - حيدر محمد علي - عبد الله شرف الدين - علي سعيد الهلمى - علي سعيد اليماني - محمد علي حسن حمدي - علي محمد عبد الله - عبده محمد غالب - علي محمد مصلح - حسين محمد اليماني.

• هنود : عبد الحق عبد الرسول - محمد سالم محمد علي - صالح محمد علي - محمد أمس - معرية إمام الدين - دويار علي شقندر علي.

• إندونيسيون : دنيا عقيب - عنبري إلياس - اسامة أحمد زيني - وإمام يحيى الإندونيسي - مأمون أشموني.

• بورميون : إلياس عبد المنان بورماوي - عمر إبراهيم بابكر - محمد أمين حلوني.

• نيجيريون : صالح موسى إبراهيم - آدم محمد النيجيري.

• صوماليون : رحوى شيخ الله معالي وقمر أسمة.

• أتراك : علي كوستيشن ومحرم بليش.

• أثيوبيون : محمد جمال داکو.

• كويتيون : محمد عبد الرحمن.

●بنجلاديش : حافظ أبو سعيد - محمد إسماعيل - يوسف على
البنغالى - حسن على حسن.

●حضارمة : على عمر الغيث.

●أفغانيون : نور محمد أحمد.

●ماليون : سليف على فهمي.

●أمريكيون : جمل أمير خالد عبد الله.

وأوضح من هذا البيان أن الذين استشهدوا في هذا الحادث الأليم
ينتسبون إلى سبع عشرة جنسية دولية على النحو الآتي، سعوديون،
باكستانيون، إندونيسيون، هنود، مصريون، يمنيون، بورميون، نيجيريون،
صوماليون، أتراك، أثيوبيون، كويتيون، بنجلادشيون، حضارمة،
أفغانسيون، ماليون، أمريكيون.

ويلاحظ أن بعض الجنسيات في هذا البيان مكررة مرتين كما ترى
ذلك في الباكستانيين، والمصريين، والهنود، والبورميين، وكان الأولى قرن
كل شهيد بأمثاله في الجنسية ما دامت الصفة التي جمعتهم واحدة هي
الاستشهاد.

البشر يعلو الوجوه

وما كاد الناس يعلمون نبأ القضاء على هذه الجريمة حتى علا البشر
كل الوجوه. وانزاح الكابوس الذي كان قد خيم على الصدور طوال
خمسة عشر يوماً، كنت ترى فيها الجموع تحتشد أمام شاشات التلفزيون
كل مساء ساعة إذاعة الأخبار عساهم يسمعون ما يرد إليهم رشدهم.

كما تواكبوا لشراء الصحف الصباحية ليقرأوا بأبصارهم ما سمعوه بأذانهم، واتجه الكثير صباح يوم الأربعاء إلى مشاهدة الحرم الشريف نفسه، ليطمئنوا على ذلك "الصرح الآمن" ويستمتعوا بالنظر إليه.

وأعلنت الصحف الصادرة صباح الخميس السابع عشر من المحرم بأن الملك خالد بن عبد العزيز سيؤدي صلاة مغرب الخميس نفسه بالمسجد الحرام، ومعه ولي العهد الأمير فهد بن عبد العزيز وكبار المسؤولين، ليكون جلالة الملك أول المصلين في المسجد الحرام بعد اكتمال تجهيزه للمصلين والطائفين. وقد تمت تلك الصلاة لأول مرة يفتح فيها الحرم الشريف أبوابه لجميع المصلين بعد ستة عشر يوما كان فيها قلعة حربية بين فئتين التقتا فئة فاجرة وأخرى تقاتل في سبيل الله. وكان لقاء المؤمنين في ذلك اليوم الخالد حارا، حيث التقت في ذلك البيت العتيق القلوب والمشاعر قبل أن تلتقى الأشباح والأجسام. نعم التقت المشاعر والقلوب. وكم ذرفت العيون من دموع واخضلت لحى، فرحة بالنصر، وحباً في بيت الله الأمين، قلب الأمة المسلمة الفياض بكل معاني الجلال والكمال. حفظه الله مؤثلا لكل مؤمن صادق الإيمان. ومنارة هدى، وممطر رحمة. وقبله صلاة وكعبة حجاج وعمار.

وعلى هذا فإن تلك الأحداث المنكرة والجريمة الكبرى قد عطلت المسجد الحرام من الأذان والإقامة والصلاة والطواف والسعى اثنين وثمانين وقت صلاة، بدأت بظهر الثلاثاء الأول من المحرم ١٤٠٠هـ، وانتهت بعصر الخميس السابع عشر من المحرم نفسه، وهي كالاتى :

الصلوات التي عطلت بالحرم

- ظهر الثلاثاء الأول من المحرم وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الأربعاء الثاني من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الخميس الثالث من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الجمعة الرابع من المحرم وجمعه وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح السبت الخامس من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الأحد السادس من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الاثنين السابع من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الثلاثاء الثامن من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الأربعاء التاسع من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.
- صباح الخميس العاشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربه وعشاؤه.

- صباح الجمعة الحادى عشر من المحرم وجمعتة وعصره،
ومغربہ وعشاؤه.
- صباح السبت الثانى عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربہ
وعشاؤه.
- صباح الأحد الثالث عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربہ
وعشاؤه.
- صباح الاثنين الرابع عشر من المحرم وظهره وعصره، ومغربہ
وعشاؤه.
- صباح الثلاثاء الخامس عشر من المحرم وظهره وعصره،
ومغربہ وعشاؤه.
- صباح الأربعاء السادس عشر من المحرم وظهره وعصره،
ومغربہ وعشاؤه.
- صباح الخميس السابع عشر من المحرم وظهره وعصره.

ولم يعهد لا فى القديم ولا فى الحديث أن بيت الله الحرام قد تعطيل
بعد عام الفتح عن الأذان والإقامة والصلاة والطواف والسعى، متلما حدث
على أيدي هؤلاء (الطغاة البغاة المعتدين المحاربين لله ورسوله. فحسابهم
عند الله، حسبه هينا، وهو عند الله عظيم).

فكم من مصل وطائف وساح صدوه عن المسجد الحرام خلال تلك
الفترة. قاتلهم الله وقاتل من شابعهم وناصرهم. فقد أرادوا فيه إلحادا بظلم،
فلينذقهم الله من العذاب الأليم. ولا حول ولا قوة إلا بالله ولى المؤمنين فى
الدنيا والآخرة.

جمعة .. جامعة

وجاء يوم الجمعة الثامن عشر من المحرم ١٤٠٠هـ، وأخذت الجموع والأفئدة تهوى هوبا إلى ذلك البيت العتيق. وصارت كل الطرق المؤدية إليه حافلة بالساعين للصلاة فيه من كل أرجاء مكة المكرمة ذلك البلد الطيب الأمين، ومن القرى والمدن الحجازية جميعا، منهم الراجل، ومنهم الراكب. موكب عظيم احتشد في تلك البقعة الطيبة المباركة رجالا ونساء، وشبابا، وأطفالا، والجميع ما بين راكع وساجد وداع وتال للقرآن أو طائف حول البيت أو يجول ببصره وفكره داخل المسجد ليرى ماذا حل به خلال فترة الاعتداء، فإذا هو يقول بلسان حاله: هأنذا كما عهدتموني لم يصبنى سوء، وهأنذا مهبط الرحمات، وملتقى الجماعات ومن دخلني كان آمنا. إن لى ربا يحمينى فاعبدوه هو الذى أطعمكم من جوع وآمنكم من خوف.

لقد تواكب الناس حتى كاد الرجل يسجد على ظهر أخيه. ومن العجب أن "الحمام" قد عاد مع عودة المصلين، ولقد أبصرته وأنا جالس فى المسجد الحرام قبيل أداء صلاة الجمعة يحوم فوق الرعوس داخل الحرم، ويطير حول البيت جماعات كأنه يطوف به كما يطوف الناس. فيا ترى من الذى أخبره أن الخطر قد زال. لقد هجر هو - قبلًا - تلك المنطقة إلى سطوح المنازل والعمارات البعيدة عن الخطر. فما الذى جعله يستأنف العودة فى نفس الوقت الذى عاد فيه الناس أنه الله الذى أعطى كل شيء خلقه.. ثم هدى.. ؟

وحين أخذ خطيب الحرم يستبشع تلك الأحداث التي قد دنس بها المعتدون ذلكم الحرم الآمن، أغرورقت عيناه بالدموع وتحشرج صوته من البكاء. فبكى الناس من حوله وفاضت مشاعرهم بالحب لبيت الله الحرام، والنقمة على أولئك المعتدين الآثمين.

وتسألنى عزيزى القارئ ما الذى شاهدتموه فى الحرم من أثر الاعتداء والقتال الذى دار فيه على مدى أسبوعين كاملين؟

وأجيبك وحسبى وحسبك الله إن كنت بالغت فى الإجابة متجاوزاً للحقيقة. ومعاذى الله من هذا. وألخص تلك الإجابة فى العبارة الآتية.

لقد قدرنا أن رجلاً أدى صلاة العشاء الأخيرة من يوم الاثنين آخر شهر ذى الحجة، ثم انصرف وحال حائل ما بينه وبين العلم بما وقع المعتدين على الحرم الشريف فلم يسمع ولم ير مما حدث شيئاً. ثم عاد ليؤدى صلاة الجمعة من الثامن عشر من المحرم بعد أن تم استخلاص المسجد الحرام من المعتدين. لو حدث هذا لما تنبه ذلك الرجل وهو داخل المسجد الحرام لما وقع فيه من أحداث يندى لها الجبين، لأنه سيرى المسجد هو هو كما تركه لم يمسه سوء ظاهر. ولو أن رجلاً آخر أراد أن يخبر هذا الرجل بما حدث وبحث عن علامة ظاهرة قوية يجعلها دليلاً بين يدي خيره لأعياه البحث. ولظل الرجل الأول على حاله من اليقين بأن مسجد الله الحرام لم يعذب به عابث. فقد ظل مصوناً قبل الاعتداء وبعد الاعتداء.. وفى أثناء الاعتداء. كل ما كنت تراه نقرات فى بعض الأعمدة من الداخل ولا شيء غير النقرات ولهذه الظاهرة - ظاهرة سلامة البيت العتيق - فيما أرى سببين.

أولهما : ظاهري. وهو حرص قوات التطهير على عدم المساس
بقُدسية البيت الحرام، تنفيذًا للتعليمات التي أصدرتها القيادة السياسية العليا
للبلاد.

وثانيهما : سبب غير عادي وهو حماية الله لبيته العتيق. ولولا تلك
الحماية لوقعت تجاوزات، لأن الإنسان ليس معصوما من الخطأ. وعندما
تؤاخر إرادة الله وقدرته إرادة الإنسان وقدرته المحدودتين فإن قوى العالم
كلها لن تستطيع أن ترد ما أرادته إرادة الله، وتعلقت به قدرته، وهيا له من
خلقه من يقوم به ويؤديه. فما شاء الله كان، وما لم يشأ لم يكن، ولو شاءه
من في الكون كلهم أجمعون. وما النصر الا من عند الله العزيز الحكيم.

كانت تلك الجمعة الجامعة قد بعثت في قلوب المؤمنين في كل مكان
كل بواعث الراحة والاطمئنان. وحمدوا للقيادة سياستهم، وللجنود الذين
عملوا على تطهير بيت الله الحرام حسن بلائهم وصبرهم وتضحياتهم
وشجاعتهم، ولكن مع هذا فقد ظلوا منتظرين كيف تكون نهاية أولئك البغاة
ومتى تكون. وما الذي حملهم على أن يفعلوا ما فعلوا وفي بيت الله الحرام
الذي جعله للناس مثابة وأمانًا؟، وأمر من قديم الزمان إبراهيم وإسماعيل
- عليهما السلام - أن يطهراهما للطائفين والعاكفين والركع السجود.. فكيف
وصل الأمر بهؤلاء المنبوذين من كل خلق كريم وعقيدة صحيحة إلى هذا
الحد من الاستهانة ببيت الله الحرام، والعبث بالحرمات. إنها جريمة العصر
التي لم يعرف لها التاريخ مثيلا حتى في عهد الجاهلية الجاهلاء.

وزاد الاهتمام بالصحف والإقبال عليها بعد القبض على من بقى من أفراد أولئك الحمقى. لمطالعة ما جد من أخبارهم وما ينكشف من جرائمهم المستترة وراء جهلهم وضلالهم.

وقوم لم يرعوا الله عهدا ولا ذمة فى أقدم مقدساته. فكل جريمة تصدر منهم - بعد ذلك - هو لها أهل. إن لسان حال الواحد منهم كان يتغنى يقول الشاعر الذى يزهو بأنه كان امرءا من جند إبليس. فأوغل فى الضلال والشر حتى صار إبليس نفسه من جنده :

وكننت امرءا من جند إبليس فارتقى

بى الحال حتى صار إبليس من جندى

فأى مصير - يا ترى - سيصير إليه هؤلاء ، ومتى نرى الحكم العدل ينفذ فيهم. ولقد كنت واحدا من أولئك المتابعين لمصير هؤلاء لا أترك حرفا واحدا ينشر عنهم إلا وقرأته. وتتبع قصتهم فى كل الصحف والإذاعات. فالجريمة خطيرة، والقائمون بها أخطر وسوء المنقلب بهم أجدر. فبئسما ما فعلوه وأن تألولوه وبرروه فما هم إلا بغاة حمقى أجهلون.

وفى ضحى يوم الأربعاء الحادى والعشرين من صفر ١٤٠٠هـ الموافق التاسع من يناير سنة ١٩٨٠م، تم إيقاع القصاص الشرعى على من ثبتت إدانتهم من المجرمين. وكان الذى تم فيهم حكم القصاص "الإعدام" ثلاثة وستين شخصا من جنسيات "دول" متعددة أكثرهم سعوديون. كما تم الإفراج عن ثمان وثلاثين شخصا ثبتت براءتهم قضاء. كما خففت عقوبة القتل إلى السجن على تسعة عشر شخصا.

وقال البيان الرسمي الصادر فى ذلك اليوم عن الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية أن الإحصاء الحقيقى للجرائم التى وقعت من جراء تلك الفتنة هو استشهاده اثنتى عشر ضابطا ومائة وخمسة عشر صف ضابط وجنديا. وأن الذين أصيبوا من قوات التطهير وتم دخولهم المستشفى للعلاج هو تسعة وأربعون ضابطا وأربعمائة واثنين صف ضابط وجندى.

أما المعتدون فقد قتل منهم داخل الحرم فى عمليات التطهير خمسة وسبعون شخصا. كما عثر على خمسة عشر قتيلًا منهم تعرف عليها المعتقلون. كما أن سبعة وعشرين شخصا منهم قد توفوا متأثرين بجراحهم. وأن عدد النساء والصبيان الذين اشتركوا مع أولئك المعتدين قد بلغ ثلاثا وعشرين امرأة وطفلا. وقد حكم على كل واحدة من النساء بالسجن سنتين مع العناية بتوجيههن دينيا. أما الأطفال فقد أودعوا دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكون أعضاء صالحين فى المجتمع الإسلامى. وقد كان العلماء قد أصدروا فتوى ثانية بينوا فيها الحكم الشرعى الذى يخضع له هؤلاء المعتدون، كما أصدروا الفتوى المتقدم ذكرها التى بينت السلوك الشرعى الذى تجب الصيرورة إليه لتطهير بيت الله الحرام عقب وقوع الحادث مباشرة.

وننشر فيما يلى تلخيصا لبيان الأمير نايف وزير الداخلية.. ثم نردفه بنص الفتوى التى أصدرها العلماء قبيل تنفيذ الأحكام المشار إليها آنفا.

إعدام ٦٣ من الخوارج فى عدد من المدن السعودية أمس
٣٨ لم تثبت إدانتهم وأفرج عنهم، سجن النساء
عامين وإدخال الأحداث دور الرعاية
جدة - مكتب "الشرق الأوسط"

أعلن الأمير نايف بن عبد العزيز وزير الداخلية السعودى أنه تم صباح يوم أمس الأربعاء إعدام ٦٣ شخصا من مجموعة الخوارج الذين اعتدوا على المسجد الحرام فى الأول من شهر المحرم الماضى. وقد نفذ الحكم فى عدد من مدن المملكة هى مكة المكرمة والرياض والمدينة المنورة والدمام وبريدة وحائل وأبها وتبوك.

وذكر بيان وزير الداخلية أن العاهل السعودى الملك خالد كان قد أصدر أمره برقم ٤٢٠٧ / ٢ / وتاريخ ١٩ / ٢ / ١٤٠٠هـ الموجه إلى سموه بشأن الاعترافات التى أدلى بها المجرمون الذين اعتدوا على الحرم، وأدخلوا فيه السلاح والذخيرة وأغلقوا أبوابه على المسلمين الذين أدوا الصلاة فى اليوم الأول من شهر المحرم عام ١٤٠٠هـ. وقد روعوا المسلمين فى الحرم الذى جعله الله آمنا، وعند البيت العتيق الذى جعله الله مثابة للناس وأمنا، وسفكوا الدماء المحرمة وأزهقوا الأرواح البريئة بغير ذنب وأجبروا الناس فى الحرم على مبايعة أحد الفئة الضالة المفسدة زاعمين أنه المهدي، وهددوا من لم يستجيب بالسلاح كما هو مسجل فى إحدى خطب هذه الفئة الظالمة التى ألفاها أحد رؤوس الفتنة صبيحة عدوانهم على الحرم.

وذكر جلالتة في أمره المشار إليه أنه استنادا إلى فتوى أصحاب الفضيلة العلماء بقتالهم مستدلين بقول تعالى : ﴿ وَلَا تُقَاتِلُوهُمْ عِنْدَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ حَتَّى يُقَاتِلُوكُمْ فِيهِ فَإِنْ قَاتَلُوكُمْ فَاقْتُلُوهُمْ ﴾ (البقرة: ١٩١).

كما أشار العاهل السعودي إلى بيان هيئة كبار العلماء الذى صدر عن دورة مجلسهم الخامسة عشرة والذى استتکروا فيه هذه الجريمة الخطيرة، وهذا العدوان الأثم، ورأى المجلس فى أن هذه الفئة فئة ضالة أئمة باعثنائها على حرم الله وسفكها فيه الدم الحرام، وقيامها بما يسبب فرقة المسلمين وشق عصاهم.

وذكر الملك خالد أن هذا البيان من هيئة كبار العلماء لواقع هؤلاء المجرمين يحتم علينا معاقبتهم عقوبة تزجر عن الفساد، ونرضى بها ربنا سبحانه، ولأننا تلقينا الفتاوى التى تبين جزاء هؤلاء المجرمين منها ما هو مشافهة من عدد من العلماء"، ومنها ما هو محرر من عدد آخر من كبار العلماء وفيها قولهم:

نص فتوى العلماء بقتل المجرمين

﴿ نفيدكم سلمكم الله أن هؤلاء لهم حكم المحاربين الذين قال الله فيهم: **إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ ذَلِكَ لَهُمْ خِزْيٌ فِي الدُّنْيَا وَلَهُمْ فِي الْآخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٌ** ﴾ (المائدة: ٣٣) قال ابن العباس (رضي الله عنه) فى هذه الآية من شهر السلاح فى فئة الإسلام وأخاف السبيل

ثم ظفر به وقدر عليه فأمام المسلمين فيه بالخيار . إن شاء قتلته وإن شاء صلبه وإن شاء قطع يده ورجله. وقال ابن عباس أيضا، ما كان في القرآن، بأو فصاحبه بالخيار، وإلى هذه ذهب الإمام مالك بن أنس وهو قول سعيد بن المسيب ومجاهد وعطاء والحسن البصري وإبراهيم النخعي والضحاك وعمر بن العزيز، واختاره الإمام القرطبي، وقال شيخ الإسلام ابن تيمية - رحمه الله - فمن كان من المحاربين قد قتل فإنه يقتله الإمام حدا ولا يجوز العفو عنه بحال، وبإجماع العلماء. وفي الفتوى قول شيخ الإسلام أيضا في المحاربين والجمهور على أن الجميع يقتلون ولو كانوا مائة. وأن الرد والمباشر سواء قال وهذا هو المأثور عن الخلفاء الراشدين، فإن عمر ابن الخطاب قتل ريبة المحاربين. وهو الناظر الذي يجلس على مكان عال ينظر منه لهم من يجيء ولأن المباشر إنما تمكن من قتلته بقوة الرد ومعاونته، وقال العلماء في فتواهم وما دام أن الجميع اعترفوا بجريمتهم بالقتل والفساد في حرم الله فيجوز للإمام قتلهم.

وعلى هذا فاعتمدوا قتل الأشخاص الموضحة أسماؤهم بالبيان المرفق. إرضاء لله سبحانه وغضبا لحرمة بيته الحرام وحرمة عباده الذين يعبدونه حول البيت. وشفاء لغيظ المسلمين وهؤلاء هم الذين صدرت منهم الإقرارات المسجلة في سجلات محكمة مكة المكرمة لدى عدد من القضاة، أما الذين لم يكن جرمهم كجرم هؤلاء فلم يسفكوا الدم الحرام عند البيت الحرام ولم يكونوا من رؤوس الفتنة ومثيريها، وإنما كان لهم مشاركة في مساعدة هؤلاء المجرمين بتمويلهم وتوزيع الذخيرة والأسلحة عليهم، أو

حراسة الأبواب لهم هؤلاء لن يكون جزاؤهم القتل وإنما سيكون جزاؤهم السجن وسنبلغكم بتحديد مدة سجن كل واحد منهم في وقت لاحق بعد تقرير العقوبة اللازمة على كل واحد حسب جرمه إن شاء الله. أما النساء اللاتي شاركن في مساعدة هذه الفئة الفاسدة بالخدمة وتقديم الماء والطعام أو توزيع الأسلحة والذخيرة فتسجن كل واحدة منهن سنتين مع العناية بهن في التربية الدينية وإصلاحهن. وأما الصبيان الذين شاركوا في الجريمة ولم يبلغوا الحلم فيدخلون في دار الرعاية لاستصلاحهم وتعليمهم حتى يكونوا أعضاء صالحين في مجتمعنا الإسلامي فلاعتماد ذلك والسلام عليكم.

هذا ما كان من شأن البيان والفتوى. ولا يسع عالم من علماء الشريعة الفقهاء في مقاصدها وأحكامها وأقضيتها إلا أن يتفق مع أصحاب الفضيلة العلماء الذين أصدروا هذه الفتوى فهم مصيبون في فتاويهم الأولى والثانية مستندين فيهما إلى النصوص الشرعية القطعية. وإلى آراء العلماء والفقهاء من سلف الأمة المجتهدين.

ولا جرم فإن المعتدين قد ارتكبوا أشنع جريمة وهي التي قد أطلقنا عليها وصف "جريمة العصر"، وفضلا عن ذلك فإنه من توحش قلوبهم قد قتلوا امرأتين داخل الحرم الأمين بطريقة واحدة، هي الرمي بالرصاص على "العنق" فما أشنع ما فعلوا وصدق الله العظيم القائل : ﴿ وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ ﴾ ولولا تنفيذ حكم الله المنصف في هؤلاء لكانوا قدوة سيئة لغيرهم. فتنتهك حرمت وتسال دماء، ويروع أمنون. ويكثر في الأرض الفساد.

وقد أصاب الشاعر إذ يقول :

والشر إن تلقه بالخير ضقت به

ذراعا.. وإن تلقه بالشر ينحسم.. ؟

المعدمون .. جنسياتهم ومواضع إعدامهم

تم حكم الإعدام إذن قصاصا شرعيا، فلكل امرئ ما اكتسب من الإثم. وقد تم حكم الإعدام على المجرمين فى يوم واحد وفى عدة مدن من المملكة العربية السعودية. كل مدينة تم فيها إعدام فريق منهم. وفيما يلى اسم كل مدينة، وأسماء من أعدموا فيها وجنسياتهم :

مكة المكرمة :

- ١- جهيمان بن محمد بن سيف - سعودى.
- ٢- أحمد بن مرزوق بن بنيان اللهيبي - سعودى.
- ٣- يوسف بن عبد الله عبد القادر باجنيد - سعودى.
- ٤- عصام بن محمد عبد الوهاب شيخ - سعودى.
- ٥- على بن أحمد شيخ الجعفان - يمنى جنوبى.
- ٦- على بن صالح الجهضى - يمنى جنوبى.
- ٧- أحمد بن عبد الله بن منصور الزامل - سعودى.
- ٨- عباس بن جار الله سلطان - سعودى.
- ٩- عبد الله عبد اللطيف أحمد رضوان - مصرى.
- ١٠- مبارك بن هزاع مفلح الجدعان - كويتى.

١١- سعيد بن عبد الله سعيد التركي (المتسمى بالقحطاني) -
سعودي.

١٢- عقاب بن عفاص المحيا - سعودي.

١٣- فارس بن عادى طلق التوم - سعودي.

١٤- سالم الفاتح مصطفى الحاج على - سوداني.

١٥- فهد دابس باني السعدون - عراقي.

الرياض :

١- عيد بن سالم إسماعيل إبراهيم الشابحي - سعودي.

٢- ردن بن غازي حميدان - سعودي.

٣- عبد الله بن جار الله سلطان - سعودي.

٤- سمير عبد المجيد فؤاد محمود رفعت - مصري.

٥- فيصل محمد فيصل - سعودي.

٦- خالد بن محمد عبد الله الزامل - سعودي.

٧- مساعد بن سعود محمد المسلم - كويتي.

٨- علي بن مرعي محمد - سعودي.

٩- محمد عمر ياس - مصري.

١٠- عبد الله بن محمد أحمد إسماعيل - سعودي.

المدينة المنورة :

١- عبد الله على أحمد باحليم - يمني جنوبي.

٢- فهد بن هلال سويلم - سعودي.

٣- عبد الله بن محمد إبراهيم الريمح - سعودي.

٤- عبد العزيز بن محمد سليمان الحصان - سعودي.

- ٥- كمال أحمد حسن - مصرى.
- ٦- عبد الله بن إسماعيل العسيمي - سعودى.
- ٧- أحمد حجاج محمود أحمد - مصرى.

الدامام :

- ١- صلاح عبد الفتاح موسى الرخ - مصرى.
- ٢- حسن محمد سالم محسن بجنف - اليمنى جنوبى.
- ٣- أحمد بن حسن العقدى - سعودى.
- ٤- محمد بن عبد الرحمن العبيدلى - كويتى.
- ٥- تركى بن صالح صليح - سعودى.
- ٦- عويض بن حبيب عيبان - سعودى.
- ٧- على محمد قاسم عبد الله - اليمنى شمالى.

بريدة :

- ١- جابر بن أحمد حسن - سعودى.
- ٢- على بن محمد بن عبد الله شعيب - سعودى.
- ٣- حامد أحمد إبراهيم يونس - مصرى.
- ٤- سعيد بن عطية الله الصبحى - سعودى.
- ٥- يسلم صالح ناصر باقطعى - اليمنى جنوبى.
- ٦- صالح بن محمد صالح - سعودى.

حائل :

- ١- إبراهيم باشا بن مطر الصبحى - سعودى.
- ٢- محمد بن معيض السدر - صالح الحمادى - سعودى.
- ٣- محمد أبو خيشة بن عبد الله - سعودى.

٤- حسن إبراهيم بيومي - مصرى.

أبها :

١- عبد المحسن بن على الحضينى - سعودى.

٢- سلطان بن حمد إبراهيم الصهرس - سعودى.

٣- عواض بن مثل عواض أبو الكحل - سعودى.

٤- عتيق بن محمد عطا الله - سعودى.

٥- مرزوق بن بتاع مرزوق البشرى - سعودى.

٦- أحمد محمود على حسين - مصرى.

٧- محمد بن سميح حمد الصحفى - سعودى.

تبوك :

١- على بن أحمد بن على - سعودى.

٢- محمد حسن محمد صادق - مصرى.

٣- أحمد سنان محمد - يمنى جنوبى.

٤- محمد بن عبد الله بن محمد الرايفى - سعودى.

٥- عبد الله بن مريخان فهد صيفى - سعودى.

ووزير الداخلية إذ يعلن هذا النبأ ليضرع إلى الله العلى القدير أن يحفظ لهذه البلاد أمنها واستقرارها ويرد كيد كل من تسول له نفسه تعكير صفو هذا الأمن والاستقرار إلى نحره، والله الهادى إلى سواء السبيل.

هذا ومن حق الذين استشهدوا من قوات التطهير من ضباط. وصف ضباط، وجنود. ومن حق الذين قد أصيبوا منهم باختلاف رتبهم أن نذكر أسماءهم هنا كمظهر من مظاهر التكريم الذى ينبغى أن يحظى به كل

مناضل شريف أسهم في استخلاص بيت الله العتيق من عبث العابثين.
وجزاؤهم الأكبر عند الله . فهو القاتل في شان المجاهدين.

﴿ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْنُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نِيلاً إِلَّا كُتِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ (التوبة: ١٢٠)

وفيما يلي ثبت أولئك : المجاهدين

أسماء العسكريين المصابين من الضباط

الاسم	الرتبة
١- فهد عبد الرحمن العيد	رائد
٢- عويد مرزوق المطيري	ملازم
٣- محمد على الشمراني	ملازم
٤- سالم عبد الله الزهراني	ملازم
٥- غازي ذعار بخيت العتيبي	نقيب
٦- ابراهيم بريك الفرج دهومي	مقدم
٧- سالم عبد الله مبروك الزهراني	ملازم
٨- خليوي يعقوب الخليوي	عقيد
٩- علي عبد المطلوب العنزي	ملازم
١٠- سليمان رهيد الحربي	ملازم
١١- سعيد حسن القحطاني	ملازم
١٢- عبد الله مناور الحربي	مقدم

الاسم

الرتبة

- ١٣- عبد المطلوب محمد
- ١٤- عدنان على العوفى
- ١٥- سيف سعد القحطانى
- ١٦- عدنان محمد حمزة
- ١٧- عارف حامد عريفان
- ١٨- على فبلان المزينى
- ١٩- سلطان ذويبي العتيبي
- ٢٠- سامى أحمد خيرى
- ٢١- حمدان موسى الأحمدى
- ٢٢- سعد إبراهيم الخياط
- ٢٣- محمد حامد البحيرى
- ٢٤- داود سليمان للحوشان
- ٢٥- عوض رشيد بلوى
- ٢٦- زيد سلامة الجوفى
- ٢٧- محمد حسن الفراج
- ٢٨- سعيد عبد الله الأسمرى
- ٢٩- عبد الله محمد الخليفة
- ٣٠- صالح عبد الله درعان الشهرى
- ٣١- سعيد على مدعان
- ٣٢- عدنان عمر عون
- ٣٣- سلطان عايض سعيد الشهرانى

- مقدم
- مقيب
- ملازم
- نقيب
- ملازم
- ملازم أول
- نقيب
- ملازم
- نقيب
- نقيب
- عقيد
- عقيد
- مقدم
- ملازم
- نقيب
- ملازم
- ملازم
- ملازم
- ملازم
- ملازم

الاسم

الرتبة

- | | |
|-----------|---------------------------------|
| نقيب | ٣٤- حمود عجيب عبد الله الجوفى |
| نقيب | ٣٥- محمد عبد الله مسفر عسبرى |
| ملازم أول | ٣٦- صالح على العبيدان |
| ملازم أول | ٣٧- عبد الله عبد الرحمن المغربى |
| ملازم أول | ٣٨- عبد العزيز عبد الله الفيضى |
| ملازم أول | ٣٩- سعد عثمان الشهرانى |
| ملازم أول | ٤٠- غازى عبد الوهاب شبيلى |
| عقيد | ٤١- حسن شبيلى حسن الشهرى |
| ملازم أول | ٤٢- سليمان عبد الرحمن العريفى |
| ملازم أول | ٤٣- عايض مناور العتيبى |
| ملازم أول | ٤٤- سلم سالم البراك |
| ملازم | ٤٥- عوض مطلق القحطانى |
| ملازم | ٤٦- مزيد غازى النفيعى |
| ملازم | ٤٧- نايف فيحان المطيرى |
| ملازم | ٤٨- سعود سالم الحميد |
| ملازم أول | ٤٩- عبد السمىة سراج فاضى |

أسماء العسكريين المصابين من ضباط صف وجنود

الرتبة	الاسم
و. رقيب	١- عبد الله أحمد الزهراني
و. رقيب	٢- علي سليمان الفيفي
عريف	٣- عبد الله علي العمري
عريف	٤- محمد يحيى فيفي
عريف	٥- محمد محمد صوملي
عريف	٦- سعيد علي الأحمرى
عريف	٧- فرحان أحمد المالكي
عريف	٨- عبده علي بلال الجيزاني
و. رقيب	٩- السبيل نافع الحربى
عريف	١٠- محمد عبد الله جابر الشهري
و. رقيب	١١- علي أحمد عبد الله حمدى
عريف	١٢- أحمد محمد أبو شرين
عريف	١٣- مسعود ظافر الشهراني
عريف	١٤- سعيد علي محمد الشهراني
و. رقيب	١٥- خضران محمد الزهراني
عريف	١٦- علي إبراهيم عسيري
عريف	١٧- يحيى محمد علي عسيري
عريف	١٨- عايض حسن محمد القحطاني

الاسم

الرتبة

- ١٩- محمد حسن الشهرى
- ٢٠- على جازم الشهرانى
- ٢١- جابر أحمد عسیری
- ٢٢- عبد الله عبد القادر عسیری
- ٢٣- خلف عبيد العوفی
- ٢٤- محمد أبو طالب على علوی
- ٢٥- جبر مبروك العتيبي
- ٢٦- ظافر حسن الشهرانى
- ٢٧- عواض بريكان العدوانی
- ٢٨- سعد عبد الله القرني
- ٢٩- محمد سلطان العتيبي
- ٣٠- محمد على عسیری
- ٣١- فاضل صالح الزهرانى
- ٣٢- على حسن جيزانى
- ٣٣- جهزنايح العتيبي
- ٣٤- سعيد على عسیری
- ٣٥- عويض عتيق الجعيد
- ٣٦- مازن سعيلى العتيبي
- ٣٧- محمد عوض إكلیس
- ٣٨- جابر محمد حريصة
- ٣٩- على على حدادی
- عريف
- عرف
- عريف
- و. رقيب
- رقيب
- و. رقيب
- رئيس رقباء
- رقيب أول
- رقيب أول
- رئيس رقباء
- عريف
- و. رقيب
- و. رقيب
- رئيس رقباء
- رئيس رقباء
- رقيب
- رقيب أول
- رقيب
- جندى أول
- جندى
- جندى

الاسم

الرتبة

- | | |
|----------|---------------------------------|
| جندى | ٤٠- سيف حسن المالكى |
| جندى | ٤١- جمعان أحمد حريصى |
| جندى | ٤٢- سعيد سالم الشهرى |
| جندى | ٤٣- محمد إبراهيم عسىرى |
| جندى | ٤٥- عبد الله حسن سلامى |
| جندى | ٤٦- غانم على حقوى |
| جندى | ٤٧- حسين على مجهلى |
| جندى | ٤٨- حسين حسن فيفى |
| جندى | ٤٩- عائض على الشهرى |
| جندى أول | ٥٠- محمد أحمد صهلولى |
| جندى | ٥١- عامو أحمد الشهرى |
| جندى | ٥٢- محمد على العمرى |
| جندى | ٥٣- معدى على الشهرى |
| جندى | ٥٤- جابر محمد نهارى |
| جندى أول | ٥٥- جبران حسين جبران فيفى |
| جندى أول | ٥٦- يوسف يحيى حسن حمدى |
| جندى أول | ٥٧- حسن يحيى الصامطى |
| جندى | ٥٨- على موسى عسىرى |
| جندى | ٥٩- سالم جابر حسن المالكى |
| جندى أول | ٦٠- مسفر سعيد القحطانى |
| جندى | ٦١- يحيى أحمد عبد الله الجيزانى |

الاسم

الرتبة

- ٦٢- عبد الله على عواض الحمدي
 ٦٣- أحمد حسين جابر ظامري
 ٦٤- أحمد محمد حمدي
 ٦٥- على أحمد الأسمرى
 ٦٦- على عضوان عسيري
 ٦٧- أحمد محمد على حشودي
 ٦٨- إبراهيم عبد الله الحفوي
 ٦٩- معتوق سعد القرشي
 ٧٠- الحسن على محمد عسيري
 ٧١- محمد هادي إبراهيم عسيري
 ٧٢- محمد على عسيري
 ٧٣- هيازع محمد البارفي
 ٧٤- سلمان رافع بكرى
 ٧٥- مرعى حسن الشهري
 ٧٦- سويلم سلامة سليمان الحويطى
 ٧٧- فرحان شليويح ناصر الحربى
 ٧٨- ضاوى العقيل البقمى
 ٧٩- أحمد عواد مبارك البلوى
 ٨٠- مرزوق عواض على المطيرى
 ٨١- محمد عبد الله الأسمرى
 ٨٢- محمد فايز الدوسرى
- جندى
 جندى
 جندى أول
 جندى أول
 جندى
 جندى أول
 جندى
 جندى أول
 جندى أول
 جندى أول
 جندى أول
 جندى أول
 جندى
 عريف
 عريف
 رقيب أول
 و. رقيب
 رقيب
 عريف
 و. رقيب
 و. رقيب

الاسم

الرتبة

- ٨٣- عبد الله عبده ضيف الله الحمدي عريف
- ٨٤- محمد حسن عبد الله عسيري عريف
- ٨٥- علي كدموسي عامر عسيري جندى أول
- ٨٦- علي حسين علي الشمراني عريف
- ٨٧- عوضه محمد عوضه الأحمرى عريف
- ٨٨- حسن محمد مفرح عسيري رقيب
- ٨٩- عطية محمد أحمد الجعفري عريف
- ٩٠- مرعى حسن الشهري عريف
- ٩١- مسعود حسن الجيزاني و. رقيب
- ٩٢- عامر أحمد العبدلي جندى أول
- ٩٣- أحمد خلف الشهري رقيب
- ٩٤- علي جابر الأسمرى جندى أول
- ٩٥- عبد الله يحيى القيسى جندى أول
- ٩٦- علي محمد علي عسيري عريف
- ٩٧- أحمد حسين الزهراني عريف
- ٩٨- عواد سليم بلوى جندى
- ٩٩- مشعتر حسين ضمدى جندى
- ١٠٠- سلامة قاسم الحويطى جندى
- ١٠١- سعد محمد الشهري جندى أول
- ١٠٢- مهدي يحيى الجيزاني عريف
- ١٠٣- علي محمد هزاع جندى

الاسم

الرتبة

- | | |
|------|------------------------------|
| جندى | ١٠٤- على محمد شراف عسبرى |
| عريف | ١٠٥- أحمد عبد الله عسبرى |
| جندى | ١٠٦- حامد عالى الغامدى |
| عريف | ١٠٧- محمد مزيد مباركى |
| جندى | ١٠٨- قاسم محمد حقوى |
| جندى | ١٠٩- محمد محمد عامر عسبرى |
| عريف | ١١٠- على عبد الرحمن الشهرانى |
| عريف | ١١١- عرم عرم الله الحارثى |
| رقيب | ١١٢- عطية جبران الراجحى |
| عريف | ١١٣- حسين عبد الله الجيزانى |
| جندى | ١١٤- محسن على يحيى غربى |
| جندى | ١١٥- على أحمد الحارثى |
| جندى | ١١٦- محمد جبران كعبى |
| جندى | ١١٧- على أحمد محمد الكعبى |
| جندى | ١١٨- عبد الله محمد عسبرى |
| عريف | ١١٩- محمد مفرح العسبرى |
| عريف | ١٢٠- عبد الله محمد عسبرى |
| جندى | ١٢١- على محمد زهرانى |
| جندى | ١٢٢- إبراهيم عبد الله شقيقى |
| جندى | ١٢٣- أحمد عبده خرولى |
| جندى | ١٢٤- على حسين عسبرى |

الاسم

الرتبة

جندى	١٢٥- محمد خلف الغامدى
عريف	١٢٦- بهلول على جيزانى
جندى	١٢٧- حمود محمد الزهرانى
جندى	١٢٨- محمد معوضه جيزانى
جندى	١٢٩- يحيى على جابر مشيخي
جندى	١٣٠- سليمان حماد الحويطى
عريف	١٣١- ابراهيم احمد عسيري
عريف	١٣٢- محمد ابراهيم عسيري
عريف	١٣٣- مفرح على عسيري
عريف	١٣٤- احمد على شراف عسيري
جندى	١٣٥- جابر حسن صهلولى
جندى	١٣٦- احمد حسين عسيري
جندى	١٣٧- سليمان مجرشي
جندى	١٣٨- عوض مضحي الشهري
عريف	١٣٩- بخيت عبد الله المولد
عريف	١٤٠- احمد ابراهيم عسيري
عريف	١٤١- ابراهيم محمد البارقي
عريف	١٤٢- الحسن محمد عسيري
جندى	١٤٣- حيدر هادى جيزانى
جندى	١٤٤- موسى محمد عسيري
جندى	١٤٥- شيبان احمد عدلى

الاسم

الرتبة

جندى	١٤٦- محمد جابر عسيري
جندى	١٤٧- حمزة على زبيدي
رقيب	١٤٨- محمد يحيى الأحمرى
جندى	١٤٩- محمد يحيى عسيري
جندى	١٥٠- جابر على عسيري
عريف	١٥١- جابر على عسيري
عريف	١٥٢- أحمد إبراهيم عسيري
جندى	١٥٣- على معيض عسيري
جندى	١٥٤- أحمد حسين جراح
جندى	١٥٥- أحمد عبد الله محمد حدادی
جندى	١٥٦- عامر على عمر عسيري
جندى	١٥٧- يحيى جبران جيزانى
عريف	١٥٨- يحيى حسن ناصر عواض
عريف	١٥٩- هليل عويض العتيبي
عريف	١٦٠- إبراهيم على عايض عسيري
عريف	١٦١- محمد أحمد حسين عسيري
جندى	١٦٢- يحيى مصبر الدربى
جندى	١٦٣- مفرح محمد عسيري
جندى	١٦٤- محمد أحمد محمد حكيمى
جندى	١٦٥- عبد الله مفرح عسيري
جندى	١٦٧- حسن موسى مسعود معشى

الاسم

الرتبة

- | | |
|----------|--------------------------------|
| عريف | ١٦٨- سليمان محمد عسيري |
| عريف | ١٦٩- أحمد ناصر الزبيدي |
| عريف | ١٧٠- علي مشيب الشهراني |
| جندی | ١٧١- محمد حسن محمد |
| عريف | ١٧٢- محمد حسن علي عسيري |
| عريف | ١٧٣- حمود علي الشهراني عسيري |
| جندی | ١٧٤- محمد حسن السبل |
| جندی | ١٧٥- محمد مسعود محمد الزهراني |
| جندی | ١٧٦- أحمد حسن رقواني |
| عريف | ١٧٧- علي محمد مشتعر عسيري |
| عريف | ١٧٨- محمد محمد عبد الله عسيري |
| رقيب | ١٧٩- مرزوق مبروك برهان اليامي |
| عريف | ١٨٠- يحيى علي محمد قنوي |
| عريف | ١٨١- محمد علي مريع عسيري |
| عريف | ١٨٢- محمد حسن مناع العنزي |
| عريف | ١٨٣- إبراهيم مشهور حمدي |
| جندی أول | ١٨٤- عيد حمدي سليم العنزي |
| جندی أول | ١٨٥- محمد عبد الرحمن حسن يارقي |
| و. رقيب | ١٨٦- حسن حمود منصور دغاس |
| و. رقيب | ١٨٧- فيحان منيع الله العتيبي |
| جندی | ١٨٨- سعد شعبان القرني |

الاسم

الرتبة

- ١٨٩- عبده مهدي ضمدى
١٩٠- إبراهيم على الشهري
١٩١- محمد هادي عسيري
١٩٢- علي غيث المالكي
١٩٣- إبراهيم على عسيري
١٩٤- سعيد صالح الغامدي
١٩٥- هادي عيسى الجيزاني
١٩٦- أحمد على سامر الكعبي
١٩٧- صالح عويضة العيسى
١٩٨- علي أحمد عسيري
١٩٩- عبده أحمد جيزاني
٢٠٠- حمود راضي المطيري
٢٠١- سنيد نعيمان المطيري
٢٠٢- صالح سليمان الحويطي
٢٠٣- مساعد عقيل الغامدي
٢٠٤- عوض مشبب الأحمرى
٢٠٥- رشيد منور الجهنى
٢٠٦- أحمد محمد طوهرى
٢٠٧- ناصر يحيى القحطاني
٢٠٨- محمد محمد جيزاني
٢٠٩- عودة محمد عطوى
- عريف
و. رقيب
جندى
جندى أول
عريف
و. رقيب
جندى أول
جندى أول
جندى
عريف
جندى
جندى أول
و. رقيب
و. رقيب
جندى أول
جندى أول
عريف
جندى أول
عريف
جندى
عريف

الاسم

الرتبة

عريف	٢١٠- يحيى ابراهيم زبيدي
عريف	٢١١- على عبد الله جيزاني
عريف	٢١٢- محمد مفلح الشهراني
عريف	٢١٣- محمد مطر الزهراني
عريف	٢١٤- حاجر محمد الحارثي
عريف	٢١٥- موسى عامر عسيري
جندى اول	٢١٦- حمصى مريع الجيزاني
جندى	٢١٧- هادى محمد فيفى
جندى	٢١٨- عوض على الحربى
و. رقيب	٢١٩- على محمد عسيري
جندى اول	٢٢٠- ابراهيم احمد جراح
جندى	٢٢١- على سالم عسيري
جندى	٢٢٢- ابراهيم عبد الله عطوى
عريف	٢٢٣- على محمد القرني
عريف	٢٢٤- محمد عبد الله البلوى
عريف	٢٢٥- جابر محمد هزازى
عريف	٢٢٦- سليم سالم الحويطى
جندى اول	٢٢٧- مفرح سليم سالم الحويطى
عريف	٢٢٨- شوعى عثمان الجيزاني
جندى	٢٢٩- محمد على حقوى
عريف	٢٣٠- محمد احمد منجى

الاسم

الرتبة

- ٢٣١- على حسن الشاجري جندى
- ٢٣٢- على أحمد مفرح عسيري جندى أول
- ٢٣٣- أحمد محمد الشمراني و. رقيب
- ٢٣٤- حسن أحمد عسيري جندى
- ٢٣٥- سليمان أحمد سليمان فيفي جندى
- ٢٣٦- محمد أحمد الغامدي جندى
- ٢٣٧- لافي عشوان العنزي رقيب
- ٣٣٨- إبراهيم على حسين الكعبي جندى
- ٢٣٩- وبران ناصر محمد القحطاني رقيب
- ٢٤٠- مبارك عبد الله العنزي و. رقيب
- ٢٤١- سالم مسلم سالم القحطاني عريف
- ٢٤٢- عبد الله محمد فهد السبيعي جندى أول
- ٢٤٣- مفلح قبلان منصور الشمري جندى أول
- ٢٤٤- عناد محمد العتيبي جندى
- ٢٤٥- عناد ماشع منيف العتيبي جندى
- ٢٤٦- فلاح محمد القحطاني عريف
- ٢٤٧- عيد سافر المطيري جندى
- ٢٤٨- سفر مبارك الحارثي جندى
- ٢٤٩- سنان عامر القحطاني جندى
- ٢٥٠- هايف مطلق العتيبي جندى
- ٢٥١- كميخ بن كميخ العتيبي عريف

الاسم

الرتبة

جندى	٢٥٢- فلاح عيد العتيبي
عريف	٢٥٣- ضيف الله محمد الحربى
عريف	٢٥٤- محسن عبد الرحمن
عريف	٢٥٥- مسعود ساير الحربى
عريف	٢٥٦- متعب عطا الله العتيبي
جندى	٢٥٧- ناهس عبد الله المطيرى
و. رقيب	٢٥٨- محمد مفرح العتيبي
و. رقيب	٢٥٩- سعد عبد الهادى الحربى
و. رقيب	٢٦٠- مبروك نافع الرشيدى
عريف	٢٦١- مفضى دخين العنزى
عريف	٢٦٢- عايش مسلم البقمى
عريف	٢٦٣- غريب حبيب الشمرانى
رقيب أول	٢٦٤- كردي متعب الشمرى
و. رقيب	٢٦٥- سعود حمد العتيبي
عريف	٢٦٦- قاعد مقعد العتيبي
عريف	٢٦٧- مناحى القحطانى
عريف	٢٦٨- عشق دليم الحربى
عريف	٢٦٩- سعيد بادی القحطانى
رقيب	٢٧٠- نايف مضحى الحربى
و. رقيب	٢٧١- منصور فيحان القحطانى
عريف	٢٧٢- مبارك عاطف القحطانى

الاسم

الرتبة

- ٢٧٣- عايد شبيب العتيبي
 عريف
 ٢٧٤- عيد مسفر العتيبي
 عريف
 ٢٧٥- ملهى سمير الحربى
 عريف
 ٢٧٦- فهد فيصل العتيبي
 عريف
 ٢٧٧- مثير صالح القحطاني
 و. رقيب
 ٢٧٨- محمد مسعود العتيبي
 و. رقيب
 ٢٧٩- ناصر حمدي الحربى
 رقيب أول
 ٢٨٠- عبد الله محمد الغامدى
 رقيب
 ٢٨١- مقبل غازى العتيبي
 و. رقيب
 ٢٨٢- مسفر عبد الهادى العتيبي
 و. رقيب
 ٢٨٣- فالح سعود العتيبي
 عريف
 ٢٨٤- عايش سليم العتيبي
 عريف
 ٢٨٥- غازى بدر العتيبي
 عريف
 ٢٨٦- خليف خليفة المطيرى
 عريف
 ٢٨٧- خليف نمر العنزى
 عريف
 ٢٨٨- ناصر مناور العتيبي
 عريف
 ٢٨٩- مطلق زيد المطيرى
 عريف
 ٢٩٠- عويضة سليم المطيرى
 عريف
 ٢٩١- عون عيد العتيبي
 عريف
 ٢٩٢- عجاب مذكر العتيبي
 عريف
 ٢٩٣- عواض دخيل الله العتيبي
 جندى

الرتبة

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

جندی

الاسم

٢٩٤- هيف عبد الله القحطاني

٢٩٥- على ناجي الحربى

٢٩٦- عثمان عبد الله الجوهر

٢٩٧- عبد الله مسلم الحربى

٢٩٨- فهد ذياب المطيرى

٢٩٩- محمد عبد الرحمن العنزى

٣٠٠- محمد على السهل

٣٠١- سالم فليح الشرارى

٣٠٢- بدر علوش القحطاني

٣٠٣- عبد الله عليان الحربى

٣٠٤- مرزوق عواض الحربى

٣٠٥- سويد ناصر القحطاني

٣٠٦- على محمد العلاج

٣٠٧- على محمد سعيد القحطاني

٣٠٨- مهدى محمد القحطاني

٣٠٩- فهد محمد القحطاني

٣١٠- مقبل محمد القحطاني

٣١١- سلمى على العتيبي

٣١٢- فراج فلاح القحطاني

٣١٣- خضيران محمد القحطاني

٣١٤- نادر عجاب القحطاني

الاسم

الرتبة

جندى	٣١٥- ملفى مسعود المطيرى
جندى	٣١٦- محمد عايض القحطانى
جندى	٣١٧- حزام ذيب القحطانى
جندى	٣١٨- ماطر مناحى العتيبي
جندى	٣١٩- حسين صالح الحربى
جندى	٣٢٠- محمد مسفر القحطانى
جندى	٣٢١- هيف معجل القحطانى
جندى	٣٢٢- بدر عيد العتيبي
جندى	٣٢٣- محمد سالم القحطانى
جندى	٣٢٤- محمد حمد القحطانى
جندى	٣٢٥- هاجد هليل المطيرى
جندى	٣٢٦- مطير عوض العتيبي
جندى	٣٢٧- قطيم هادى العتيبي
جندى	٣٢٨- عطا الله سمران العتيبي
جندى	٣٢٩- معلا علوان العتيبي
جندى	٣٣٠- مطلق قطعان العتيبي
جندى	٣٣١- حجي حماد العنزى
جندى	٣٣٢- محمد شاجع الحربى
جندى	٣٣٣- مرزوق هاجر العتيبي
جندى	٣٣٤- محمد عايض القحطانى
جندى	٣٣٥- فهاد مبارك العجمى

الاسم

الرتبة

جندى	٣٣٦- مخلد خلف المطيرى
جندى	٣٣٧- غازى ضاوى العتيبي
جندى	٣٣٨- مليح سعد العتيبي
جندى	٣٣٩- سعو غازى الحربى
جندى	٣٤٠- عبد الله مسعود المطيرى
جندى	٣٤١- تركى عواض العتيبي
جندى	٣٤٢- عبد الله عائد العتيبي
جندى	٣٤٣- حسين حمد سليم العتيبي
رقيب أول	٣٤٤- على يحيى عسبرى
و. رقيب	٣٤٥- مسعود سعيد المطيرى
عريف	٣٤٦- مساعد صقر العتيبي
عريف	٣٤٧- فالح سعيد الشهرانى
عريف	٣٤٨- قبلان عبد الكريم العتيبي
عريف	٣٤٩- مشيب محمد العتيبي
عريف	٣٥٠- عمار سعدى المطيرى
عريف	٣٥١- مشعى شافى السبيعى
عريف	٣٥٢- منور معلث المطيرى
عريف	٣٥٣- يحيى سعيد الأحمرى
عريف	٣٥٤- مرزوق عبيد العتيبي
عريف	٣٥٥- عباد عويد المطيرى
عريف	٣٥٦- عبيد الله عبد الله العتيبي

الاسم

- ٣٥٧- شويح مفرح القحطاني
٣٥٨- سعد عيد البقمي
٣٥٩- أحمد عبد الله الأسمرى
٣٦٠- فهد معيض البقمي
٣٦١- على سالم المطيرى
٣٦٢- خلف مقعد السبيعي
٣٦٣- مفرح عبد الله السبيعي
٣٦٤- مطلق عبيد العتيبي
٣٦٥- سويعد معاضة المطيرى
٣٦٦- سنيد عيد المطيرى
٣٦٧- سعيدان سعد العتيبي
٣٦٨- ناصر سمران العتيبي
٣٦٩- سلطان محمد السبيعي
٣٧٠- ثواب مطر المطيرى
٣٧١- يحيى محمد عسيري
٣٧٢- سعد سعيد الأحمرى
٣٧٣- عايض عويمر القرشى
٣٧٤- صالح سليم الزهرانى
٣٧٥- زهبل لاحق الحارثى
٣٧٦- على محمد الحقرىتى
٣٧٧- على أحمد الحامدى

الرتبة

- عريف
عريف
عريف
عريف
عريف
عريف
جندى
جندى
جندى
جندى
جندى
جندى
جندى
رئيس رقباء
رقيب
عريف
جندى أول
جندى أول
جندى
جندى أول

الاسم

الرتبة

عريف	٣٧٨- عبد الله مصلح المطيرى
عريف	٣٧٩- سعد سعود المالكى
رقيب	٣٨٠- أحمد يحيى عسبرى
عريف	٣٨١- بطاش أحمد عسبرى
عريف	٣٨٢- عبد الرحمن عبد الله الشهرى
عريف	٣٨٣- عواض ضيف الله البيشى
جندى أول	٣٨٤- على حسن عسبرى
جندى أول	٣٨٥- عبيد محمد انقاسمى
جندى أول	٣٨٦- حسين أحمد الزهرانى
جندى أول	٣٨٧- محمد عبد الله القحطانى
جندى أول	٣٨٨- صالح محمد عسبرى
جندى أول	٣٨٩- عبد الرحيم عايش المالكى
جندى أول	٣٩٠- إبراهيم أحمد جيزان
جندى أول	٣٩١- جمعان مطر الزهرانى
جندى أول	٣٩٢- فليل عبده الشهرى
جندى أول	٣٩٣- صالح سالم الزهرانى
جندى	٣٩٤- حرفان موسى القرنى
جندى	٣٩٥- محمد أحمد دباس حمدى
جندى	٣٩٦- محمد على الحيزانى
جندى	٣٩٧- حسن عبد الله الشمرانى
جندى	٣٩٨- يحيى أحمد زهرانى

الاسم

الرتبة

جندى	٣٩٩- مرزوق حميد البارقي
جندى	٤٠٠- عيد سعد البيشى
جندى	٤٠١- حصر صالح الزهرانى
جندى	٤٠٢- أحمد صالح الزهرانى
جندى	٤٠٣- حسن عبده الأسمرى
جندى	٤٠٤- خفير دلفان الشهرى
جندى	٤٠٥- حويتان عمر الحارثى
جندى	٤٠٦- عبد الله جابر الدعبي
جندى	٤٠٧- سهل سعد العتيبي
جندى	٤٠٨- طارق معتوق الرافعى
جندى	٤٠٩- فهد الحربى
جندى	٤١٠- على عبد الرحمن الشهرى
عريف	٤١١- يحيى شرف الحلوانى
جندى أول	٤١٢- حسن حمودة

الفهرس

الموضوع

رقم الصفحة

٥	 مقدمة
٩	 الرؤيا حقيقة
١٠	 قصة لها دلالة
١٤	 الفتنة تطل برأسها
١٦	 الأبواب مغلقة
١٧	 الرصاص فوق الرعوس
١٨	 خروج ودخول
١٩	 مراقبة عن كئيب
٢١	 خطباء الفتنة متعددون
٢٢	 البغاة يقتلون الجنود
٢٤	 جولة قصيرة
٢٧	 بطولات نادرة
٢٩	 أسيرة تفقد ثم تعود
٣٠	 أسرار من الداخل
٣٢	 بعض الآثار التي ردها
٣٣	 خرافات زائفة
٣٧	 خطوات المرحلة الأولى
٣٨	 حديث للعميد الظاهري
٣٩	 الفتنة كيف بدأت
٤٤	 اتضاح السر

رقم الصفحة

الموضوع

٤٦	 استفتاء العلماء
٥١	 تعليمات ولى الأمر
٥٢	 رد الفعل
٥٤	 ساعات حرجات
٥٦	 مرحلة جديدة من القتال
٦٠	 أول المطهرين للحرم الشريف
٦١	 رفضت الخروج من المعركة
٦٤	 المرحلة الثالثة
٦٦	 ليلة البشريات
٦٨	 أطعمنا من جوع
٦٩	 الأمير والتفاح
٧٤	 وقفة مع البيت العتيق
٧٦	 مقذوفة كأنها الزلزال
٨٢	 رحلة على الأقدام
٨٤	 بعض المعتدين يستسلمون
٨٥	 ظاهرتان مختلفتان
٨٧	 المرحلة الرابعة
٩٢	 المرحلة الخامسة الحاسمة
٩٣	 اقتحام قوات التطهير
١٠٠	 النهاية

رقم الصفحة

الموضوع

١٠٣	 نوعية الأسلحة
١٠٤	 جنسيات المعتدين
١٠٨	 البيان الثاني
١١٠	 أسماء الشهداء
١١٤	 الصلوات التي عطلت بالحرم
١١٦	 جمعة جامعة
١٢٢	 فتوى العلماء بقتل المعتدين
١٢٥	 المعدمون
١٢٩	 المصابون من الضباط
١٥٣	 الفهرس

رقم الإيداع، ١٧١٩١ / ٢٠٠٣